بابا الإسرائيلي

بقلم

محمد الغباشي

إهداء

أبنائي
لأجلكم خُضْتُ المعارك
ولأجلكم كنت أخسرها

مفتاح الكتاب

أُحييكم..

أنا (بابا الإسرائيلي)، الوالد والزوج المضطهد، ذو الكرش المستدير المتدلي، الظريف الضخم، صاحب الرأس الصغير -كما وصفتني ابنتي ذات مرة-، أعشق الطعام عشق قيس لليلى، وجميل لبثينة، و(حسن راس الكلبة) لسماح الكئيبة.

أوقن أنني أحب زوجتي وأبنائي أضعاف أضعاف حبهم لي، وأوقن كذلك أنني أبذل جهدًا كبيرًا في محاولة إسعادهم وإرضائهم أضعاف أضعاف ما يبذلون. وهذا اليقين له تأثير ربما يكون سلبيًّا عليَّ أحيانًا؛ حيث يرسّخ لديّ عقدة الاضطهاد التي أشعر بها بينهم، بسبب تصرفاتهم التي كثيرًا ما لا تدل على مبادلتهم حبي لهم بحبٍّ على نفس مستواه.

فهُم جميعًا فريق كبير قوي، وأنا وحدي فرد ضعيف هزيل؛

الأطفال يحابون أمهم على حساب الوالد الضعيف، وأمهم تحابيهم على حساب الزوج المضطهد؛ لتجد في المحصلة أن المجني عليه في النهاية هو أنا، (بابا الإسرائيلي) المنبوذ ..

لست إسرائيليًّا قطعًا، فأنا مصري وأبويا مصري، بسماري ولوني مصري، وإنما اخترت هذا الوصف المستفز لتقفز في ذهنك الصورة التقليدية للارتياب وعدم الارتياح من وجود هذا الكائن المنبوذ معك في مكان واحد؛ لأستحضر ـ تعاطفك، ولتصطف معي في مواجهة كتائب الاحتلال الغاشمة..

أضف إلى ذلك أنني (الحيطة المايلة) في المنزل، أسكن في ذيل قائمة اهتمامات جميع أفراد الأسرة، وحين أتصنَّع الخلاف مع الأم أجد جيشًا من اللحم والدم يصطف خلفها، بحواجب مرفوعة، ووجوه مكشِّرة عن أنياب الاستعداد للقتال، لألتفت ورائي فلا أجد سوى الحائط الكئيب ولوحة زيتية مليئة بخيبة الأمل.

لا أكف عن التخطيط المضني لإحباط مؤامراتهم ومخططاتهم ضدي، خاصة تلك المتعلقة بالإغارة على طعامي، وما أدَّخره في الثلاجة من حلوى أو فاكهة، إلا أن جميع المحاولات تبوء بالفشل

الذريع؛ فهم يأكلون طعامي، ويستولون على عصيري -واخد بالك، ويتفننون في إيقاظي من سباتي العميق في نوم العصاري والسَّحر.

ربما تردد في نفسك الآن: (إنت راجل مفتري)، لا سيما إن كنت تعرفني، أو تعرف أسرتي معرفة لصيقة، فلو كنت تجلس في مدرَّجات الدرجة الأولى، وكنت إحدى صديقات زوجتي، فإني أكاد أسمع همهماتك: (ده راجل مفتري، دي مراته زي النسمة). وإن كنت تجلس في مدرجات الدرجة الثانية وكنت أحد أصدقاء أبنائي فأكاد كذلك أسمعك تردد: (إبراهيم ده عسل وكريم، سمية أمورة ودايمًا تعزم علينا بحاجات حلوة).

أما إن كنت تجلس في مدرّجات الشعب، مدرجات الدرجة الثالثة، وكنت أحد أصدقائي أو متابعيَّ على (فيس بوك)، فأكاد أسمعك تردد متضامنًا معي وشاعرًا بمأساتي: (أيواااااه أنا عندي نفس المشكلة).. أو (حاسس بيك يا معلم، الحال من بعضه)، أو (احنا لازم نعمل حزب ونسميه #بابا_الإسرائيلي)، أو (العيال دي ماسكة عليك إيه بالظبط؟!).

لا يهمني تحديدًا ألَّا أكون مفتريًا، ولا أن أكون محايدًا في هذه اليوميات، وإنما أنقل انطباعاتي الشخصية التي جعلتني أشعر بهذه الحالة من الاضطهاد الأسري في عصر ما بعد العولمة والحداثة والكولونيالية. اللي هو أي كلام يعني..

ما بين يديك الآن هو تسجيل دقيق لهذه الانطباعات الحمقاء، ستجد فيها كثيرًا من المبالغة أحيانًا، وكثيرًا من الواقعية أحيانًا، وكثيرًا من اللا منطقية أحيانًا، وكثيرًا من السخرية دائمًا، إلا أنني أجزم أنك بعد انتهائك من القراءة ستعلن تعاطفك معي وانضمامك إلى حزبي؛ حزب #بابا_الإسرائيلي..

ولكي تتضح الصورة؛ فإن لكل واحد منا في هذه الأسرة ميولاً واتجاهات واهتمامات، لعلها تتشابه أحيانًا وتتنافر أحيانًا، إلا أن هناك بعض المفاتيح التي يهمني – قبل أن تقرأ هذه اليوميات – أن تطّلع عليها وتستحضرها عند كل موقف؛ ذلك أنها ستساعدك جدًا في فهم الدوافع والأسباب التي جعلت من يفعل يفعل، ومن يكفُّ يكفُّ،

ومن يتآمر يتآمر، ومن يخطط يخطط، ومن يضحك يضحك، ومن يسخر يسخر، ومن يندهش يندهش ويتعجب.

إليك هذه السُّباعية الكاشفة:

١- أنا عاشق للطعام بشكل جنوني، وهذا سبب فشلي في الرجيم، وسبب كذلك لكثير من المفارقات التي تقع في المنزل كما سترى في هذه اليوميات.

٢- هي تكره دخول المطبخ، ادمج هذه النقطة للنقطة السابقة لتكشف لك عن بعض دوافع الاضطهاد والشعور به.

٣- أنا صاحب كِرش كروي نافر، أحترمه، وأقدِّره، وأعتبره جزءًا من شخصيتي، وتاريخًا ينبغي أن يُحتَرم ويستفاد من أحداثه .. يا سلام!!

٤- هي تغار من كرشي وترهلاتي، وتعتبره معكرًا لصفو حياتنا، تتمنى لو تزرع فيه قنبلة نووية، فتستيقظ في اليوم التالي وقد اختفى من أمامها، وتجدني رشيقًا صاحب عضلات بطنية

(سكس باكس)، وصدرية جذابة .. هلاوس وخيالات متحطهاش في دماغك.

٥- أطفالنا مرتبطون بأمهم بشكل كبير، ومرتبطون بي بصورة أقل .. بؤس!!

٦- أطفالنا يُحسنون التعبير عن ارتباطهم بأمهم وحبهم لها بشكل جيد، سواء بصورة مباشرة بالكلمات المنمقة والجمل الرصينة، أم بصورة غير مباشرة بالتصرفات المحببة والمشاعر النبيلة، لكنهم لا يحسنون ذلك معي .. قلة حظ بعيد عنك.

٧- أطفالنا يعتبرونني واحدًا منهم وطفلاً مثلهم، لست أباهم إلا في أوقات المذاكرة أو التوجيه المباشر أو العقاب والتكشير عن الأنياب، بل ربما يحسبونني ابنًا متضخمًا لأمهم أتت به من كوكب آخر؛ لذلك تخونهم الألفاظ كثيرًا حين يناكفونني أو يتحدثون إليَّ، وتخونهم بعض التصرفات التي أعلم أنها غير مقصودة. وكذلك أمهم.

ربما تكون هذه المقدمة مجرد افتراءات مني، أو عَرَض لمرض نفسي- حاد، أو ربما تكون مجرد هلاوس وهرتلة تسكن دماغي الكروي المليء بالأفكار، أو حتى مجرد وسوسة من شيطاني الذي يرافقني دائمًا، لكن المؤكد أنها مؤثرة على طبيعة تصرفاتي وتصرفاتهم، وداعية للأمهات أن يعدن النظر في مخططاتهم الاستعمارية تجاه الآباء.

ما ستقرؤه هنا ستكتشف أن مثله يمارس ضدك، سواء من زوجتك أو أبنائك؛ لذا فإنني أدعوك للاستمتاع بهذه اليوميات بجوار أسرتك، ومحاولة تخيلها باعتبارها شريطًا سينمائيًّا يمر أمامك، وأن تتبادل مع أسرتك الضحكات والابتسامات على المواقف التي بالتأكيد مرّت عليك يومًا ما، إن لم تكن بالتفاصيل نفسها فبتفاصيل مشابهة.

أخشى بعد قراءة زوجتي وأبنائي لهذه اليوميات ألا أتمكن من دخول المنزل مرة أخرى، لا شك أنهم اطلعوا على بعضها من قبل حين كنت أدوِّنها واحدة فواحدة، لكن هذه الوجبة الدسمة والمركزة والمتنوعة ستحدث لديهم صدمة بالتأكيد، وستضعهم أمام أحد

أمرين: إما الاعتراف بأنهم يمارسون ضدي نوعًا من الاضطهاد فيغيروا من تلقاء أنفسهم، ويعلنوا أما الأمم المتحدة أنهم دولة احتلال غاشمة، ويقرروا الانسحاب. وهذا من تاسع المستحيلات. وإما أن يكابروا ويعتبروني مفتريًا وإسرائيليًّا فعلاً ينبغي طردي من مملكتهم الصغيرة .. لذلك أرحب بدعوتكم لاستضافتي في منزلكم لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، أو حتى العطلة الصيفية بالكامل حتى أجد مكانًا يؤويني.

وعلى كل الأحوال فأنا مترقب لرد فعلهم وردود أفعالكم وانطباعاتكم كذلك عن هذه اليوميات، وأرجو منكم تسجيلها عبر الصفحة الأخيرة المخصصة لذلك، وإفادتي بها عبر تصويرها وإرسالها لحسابي على فيس بوك..

إلى اللقاء في الصفحة الأخيرة..

محمد الغباشي

الدوحة ٦ مارس ٢٠١٧م

Fb.com/reeshamahbara

الخديعة الكبرى

توقفت (هي) أمام بعض قطع الكماليات في أحد محال الخردوات، بعض السِّلال المعدنية المزخرفة، وأخرى من سعف النخيل، أعجبَتْها، واخترعت لها على الفور فائدة ومهمة عظيمة يتوقف سير الأجرام السماوية على شرائها، وهي حفظ إحداها لأقلام الأطفال، والثانية للخيوط وإبر الخياطة، والأخيرة لشيء آخر لا أتذكره لتفاهته.

دار بيننا نقاش عميق عن مغزى شراء هذه الأشياء، وكيف أننا نتحول بصورة تدريجية لمجتمع استهلاكي نفعي بحت .. اللي هو صباح الفل يعني.

لم تقتنع كما هو الحال في كل مرة، وفي النهاية استسلمتُ كعادتي حينما أكدتْ لي أنها ستدفع ثمن ما اشترته.. لا أخفيكم سرًّا خالجتني بعض سحب الشك والريبة، لكنني وافقت مغلوبًا على

أمري، انطلقنا أنا وهي والأولاد بصحبة المتاع للحساب، وما أدراكم ما الحساب!!.. زاغت عيناها قليلاً ثم قالت:

- ياه!! نسيت الشنطة في البيت، نبقى نتحاسب بقى لما نروّح..

وهرولتْ بحركة خاطفة ناحية الباب، فلم أشعر بها إلا وقد مرقت إلى الخارج بصحبة بقية العصابة المفترية، ولمحتهم من بعيد يتهامسون ويشيرون إلي بأصابع هازئة وابتسامات ساخرة.

بمعنى أصح (ابقى قابلني، مالُك تفرَّق دمُه بين القبائل يا ابن العم)..

بدأتْ سُحُب الشك تتكاثر وتزيد فوق رأسي، وأرسلت رعودها إلى صميم دماغي، أحسست بسحب الدخان الساخن تطوف فوق رأسي المتعرِّق .. أنا كرجل شرقي كريم (لم أكن أنتوي) -واخد بالك- لكن الشيطان فهلوي، لم أكن أنتوي جعلها تدفع شيئًا، لكن الشيطان (جَعْلَصَ) الأمر في رأسي..

دفعتُ المبلغ وكلي شهامة ومروءة، وترقُّب وإحباط أيضًا، ثم انطلقنا إلى المنزل، وبعد أن جلسنا واسترحنا طالبتها بالمال، فقالت:

- فلوس إيه؟!

شَكِّي كان في محله، أنا وقعت ضحية عملية نصب كبرى، لكن كان لديّ حجتي، شهود شرفاء يقفون بجانبي وقت الأزمات..

- إنتي مش قلتيلي إنك حتجيبي الحاجة دي على حسابك؟!

قالت وبراءة الأطفال في عينيها:

- أنا قلت كده؟!

- يا خبر أسود .. أيوة، وأولادك دول شاهدين .. مش ماما قالت كده يا سمية؟!

بكل تلقائية وعفوية ونذالة وقلة أصل ردت وهي تلحس أثر الحلوى من أصابعها:

- لا، ما قالتش، أنا مسمعتش أي حاجة من ماما ..

تعالت ضحكات الأم الشريرة، وانطلقت مدامعي تستأذن في النفور .. طبعًا لم تصدمني شهادة الزور التي أطلقتها سمية، فقد اعتدت منها على ذلك، فتوجهت نحو إبراهيم، ذلك الفتى الشريف الشهم الطيب ..

- مش ماما قالت إنها حتدفع ثمن السلال دي يا هيما؟!

حكَّ إبراهيم أرنبة أنفه، ونظر ناحية السقف ليستدعيَ المعلومات من رأسه، قال بطريقة رسمية، وكأنَّ على الحائط من يلقِّنه، أو كأنه يقرأ من خطاب رئاسي:

- بسم الله الرحمن الرحيم، أنا سمعتك وإنت بتقول لماما إنك إنت اللي حتدفع تمن كل حاجة، وحتجيب لنا عصير طبيعي واحنا مروحين .. شكرًا لكم ..

جلس ثلاثتهم يتبادلون الضحكات الصفراء الشريرة ويشيرون إليَّ بسباباتهم، لم أجد بُدًّا من مبادلتهم الضحك

للحظات، ثم دفنت وجهي بين كفيَّ وانطلقت في بكاء هستيري، أضحك ساعة وأبكي ساعة، حتى أشفق عليَّ جاري، وجاءني بسندوتش كفتة وسلطة طحينة.

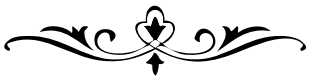

طلبات البيت

استقبلت الردهة بوجهي المكفهرّ بعد ساعة من نوم ظهيرة، عكَّرت عليه صرخات وعراك الأطفال وأمهم على باب الغرفة..

لا يحلو خطابهم وحديثهم وعراكهم إلا أمام باب غرفتي، وفي الساعة اليتيمة التي أريح فيها أعصابي بعد العمل، حتى إني نظرت يومًا باحثًا عما يمكن أن يجذب البشر في تلك البقعة الطاهرة المباركة من الأرض!!

هل عليها سكر وعسل يلحسون منه مثلاً؟!

هل تتنزل عليهم رحمة أو سكينة -أو وحي حتى- ما داموا فيها؟!

هل يوزع أحد الأثرياء أموالاً أو لعب أطفال ليتزاحموا فيها بهذه الصورة؟! لا أدري..

عمومًا استيقظت واللي كان كان، أحتاج في العادة حوالي نصف

ساعة لأستوعب أنني استيقظت من النوم، وعدت لممارسة حياتي الطبيعية مرة أخرى ..

ما أن أسندت ظهري للأريكة، وحاولت فك شفرة دماغي وملامح وجهي حتى انفجرت في وجهي ماسورة من الأوامر والطلبات:

- قُفطان إبراهيم عاوز يروح للخياط عشان التَّنْيَة اتفكّت..

- ماشي إن شاء الله ..

- شفت العرض اللي على الرز؟ ابقى هاتلنا كيسين عشان الرز اللي هنا خلص ..

- حاضر بإذن الله ..

- سمية محتاجة جلّاد عشان كُتبها اتقطعت ..

- .....

دخلت سمية على الخط:

- بابا .. الأستاذة عايزاني بكرة في المدرسة الساعة ٥ الصبح عشان نبيع لبن .. قصدي عشان نتمرن على المسرحية الجديدة ..

-.....

- بابا .. صحبتي جابت فيونكة على شكل فراشة، فأنا عاوزة واحدة بس تكون على شكل تيناصور (اللي هو نتاج تزاوج تنينة نتاية مع ديناصور دكر مُجنّح) ..

- .....

إبراهيم:

- بابا .. أنا عاوز عصير طبيعي من المعصرة، وعاوزك تعاقب سمية عشان قرصتني في سمانة رجلي الشمال، فأصابتني بحالة من دوار البحر وعدم القدرة على السيطرة على أحزاني .. (اللي هو أي كلام وخلاص) ..

- .....

- بابا .. الكورة بتاعتي مفسية والمنفاخ باظ، فعاوزك تشتغل منفاخ، وتنفخها لي ببؤك الكبير ..

لم أجد بدًّا حينها سوى الصمت الذي اضطررت إليه بسبب التهاب

حاد في أعصاب الوجه والدماغ، كانت كل كلمة أو صرخة تخرج من أفواههم كأنها بازوكا روسية موجهة إلى أعصاب دماغي مباشرة .. حتى إن ملامح وجهي كانت تقشعر كلما نطق أحدهم بكلمة أو حتى مجرد همسة.

أدرت وجهي نحو الحائط، واستسلمتُ للشرود في لون الستارة البُنِّيَّة الكئيبة، لأول مرة أرى ما فيها من جمال حقيقي ساحر، حلَّقت في عمق الستارة، وابتعدت عاليًا عن أصواتهم، رأيتهم من بعيد يحركون أفواههم بعنف صارخين بلا صوت، يلوحون ثلاثتهم بأيديهم في حركات عصبية دائرية صمَّاء، وأنا أبتسم ابتسامة مجنون هازئ، حتى انتبهت على قفزة سمية على كرشي المستدير:

- قوم يا بابا .. انت مابتردش علينا ليه؟

- حبيبتي سمية، أدعوك لقضاء وقت ممتع في تأمل هذه الستارة الجميلة ..

توجهنا جميعًا نحو الستارة، وقضينا الليلة في استخراج مظاهر الجمال في تعريجاتها ونسيجها الناعم.

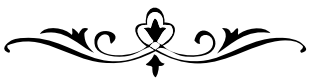

بابا الشقيان

اليوم كان يومًا طويلاً جدًّا؛ ما يزيد عن ١٤ ساعة من العمل المتواصل .. عدت إلى المنزل في غاية الإرهاق والتعب، رآني الطفلان على هذه الحال فكان تفاعلهما معي سلبيًّا كالعادة.

يبدو أنهما متعاطفان معي حقيقةً، إلا أن عقدة العنصرية تجاهي لصالح أمهما لا تزال مسيطرة على عمق الضمير ..

قلت لسمية:

- شفتي يا سمية بابا بيتعب عشانكم إزاي؟!

في العادة لست ممن يتقن استجداء التعاطف؛ بل غالبًا ما أكره هذا الأسلوب، ولكن ربما حرَّكني لمثل هذا السؤال الغبي افتقاري لأي نوع من التعاطف منهما .. غلبان أنا والله، إلا أن إجابتها كانت واضحة وقاطعة وقاتلة لكل أمل يُرتجى ..

- لا ماشفتش ..

- شكرًا يا أميرة يا بنت الأمرا ..

توجهت ناحية الصبي الطيب لعلي أجد لديه بغيتي ..

- شفت يا هيما بابا بيتعب عشانكم إزاي؟!

فقال من فوره -وبراءة الأطفال في عينيه-:

- أيوة .. بس ماما بتعمل الأكل وترتب الشقة وبتتعب برضه..

- ماما مين يا حبيبي؟! إيه اللي دخل ماما دلوقت في الموضوع، أنا باكلمك عن تعبي أنا، أناااااااااااااا، خلينا نكون محددين للقضية اللي بتتكلم فيها، أنا بأقول لك أنا، أناااااا..

- ايوة إنت بتتكلم عن التعب من أجل الأسرة، ومفيش حد بيتعب من أجل الأسرة زي الأم، ماما بتطبخ الأكل، وتأكَّل أنس، وتنضف البيت، وتغسل الغسيل ..

- بَسْ بَسْ بَسْ، شكرًا ..

استرجعت في سري، واستقبلت حافة الشرفة رافعًا ذراعيَّ إلى السماء، ومتمتمًا ببعض ما جادت به قريحتي من أدعية، مستدعيًا المقولة الخالدة للباشمهندس سعد زغلول:

- مفيش فايدة ..

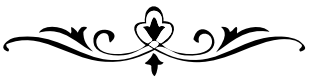

الظالمة الصغيرة

ما أن أمسك بهاتفي لأرد على رسالة، أو أتابع منشورًا على فيس بوك، حتى تتعالى صيحات الطفلين الجهورية:

- ماما، إلحقي بابا فاتح تليفوووووونووووه..

فتنقلب الدنيا رأسًا على عقب، ولا تكف عني ملامتهم جميعًا..

فارتقبت حتى فتحت أمهما هاتفها، وصِحت فيهما:

- مين اللي فاتح تليفونه دلوقت؟! ما بتكلموهاش ليه؟!

فقالت سمية:

- إنت اللي فاتح تليفونك يا بابا ..

بدهشة:

- يابنتي بصي، ماما فاتحاه أهي.. أهيييييييه ..

- لا، إنت اللي فاتحه، دي بترد على رسالة خالتو..

أمسكتُ برأسها وأدرته نحوي ونحوها:

- ركزي يا ظالمة، يا ظالمـاااااة، تليفوني مقفول وهي اللي فاتحاه أهيييييييه .. وبعدين مانا كمان بأرد على رسالة عمو لما بافتحه!!

تختلس أمهم النظر إليَّ بضحكة شماتة شريرة صفراء ..

- بس ماما بتتكلم في موضوع مهم مينفعش يتأجل ..

- طب ما أنا باتكلم برضه في موضوع مهم وميتأجلش ..

- موضوعات ماما مهمة أكتر، زي رعاية الأسرة والأطفال، ودي حاجات مهمة جدًّا، عشان أنس بيبقى محتاج حاجات، لكن إنت بتكلم عمو أسامة وعمو عبد الرحمن في الشغل والمجلات الثقافية ..

- مجلات ثقافية إيه حتودينا في داهية منك لله .. يعني أنتم مش شايفين ماما غلطانة في حاجة دلوقت؟!

- لا طبعًا، ماما هي قلب الأسرة النابض بالحب والوفاء، وأي حاجة بتعملها بتصُب في النهاية في مصلحة الأسرة، بعكس الإسرائيليين اللي هدفهم تدمير أحلام الأمة وتطلعاتها البراقة ..

أي كلام في أي اتجاه..

استدرت ناحية الشرفة، وعدوت إليها مسرعًا، قفزت وسلمت جسدي للرياح ..

شكرًا يا ماما على تضحية بابا

تسللت من باب الشقة بهدوء بحيث لا يسمعني الأطفال، ثم وقفت في منتصف الردهة وناديت بصوتٍ عالٍ:

- هيا يا أطفال من يريد الحلوى؟!

فأقبل الطفلان نحوي بسعادة وصراخ فرِح، وانقضَّا على الحلوى التي في يديَّ، وأكلاها وهما سعيدان..

هدأتْ جذوة الحدث، وجلسنا وأمهما على كنبة الردهة، صاح إبراهيم:

- شكرًا يا ماما على الحلوى الجميلة ..

نعم؟! ماما!!! انذهلت كعادتي في هذا المنزل الجميل، الواد ابن الذينا لسه خاطف مني الحلوى اللي أكلها، ومع ذلك بيشكر أمه! آه يا عيلة ناكرة للجميل!

أجابته أمه:

– ده بابا هو اللي جايبها يا هيما، اشكره هو..

الواد مش داخلة دماغه الإجابة، فقال:

– بس أنا باشكرك عشان إنتي اديتيله الفلوس .. شكرًا يا ماما..

أنا حسيت إني شفاف، الواد تقريبًا مش شايفني، كل ده وأنا ساكت عاوز أشوف حنوصل لإيه في الآخر ..

فردت أمه:

– لا يا حبيبي، بابا هو اللي بيشتغل وبيجيب الفلوس مش أنا ..

برضه الإجابة مش مريحاه، قال:

– اممممم، بس أنا شكرتك عشان إنتي اللي قلتيله يجيبلنا الحلوى.. شكرًا يا ماما..

أنا أتابع بمزيد من الأسى..

قالت:

– لا يا حبيبي ده بابا هو اللي جابلكم عشان بيحبكم ..

برضه الواد ابن التيت مش مقتنع، قعد يفكر ييجي تلاتين ثانية

وراح باصص لي من فوق لتحت وقال لي:

- شكرًا يا بابا، بس المرة الجاية ابقى هاتلي عصير طبيعي أحسن..

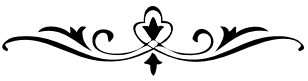

مغمض الأذنين

تمددتُ على سريري الذي انهارت أسلاكه اللولبية، واعتاد الصراخ كلما قفزت عليه، حاولتُ إغماض عيني قليلاً بعد يوم طويل من النوم، نعم من النوم، حقي الطبيعي، تعبتُ من وصلة النوم الطويلة فقلت: لأسترح قليلاً كي يمكنني المواصلة.. لله درِّي!!

ما أن رأتني أتسلل نحو السرير طارحًا عليه جسدي المترامي الأطراف، وفضحني صراخ أسلاكه، حتى أقبلت نحوي حاملة طفلتها الباكية، وكأنها استنفرت بكاءها الذي كانت تزداد حدته كلما اقتربت ..

وضعتْ الطفلة في جوف السرير وجلست إلى جوارها، ثم بدأت تتردد على أبواب الكثير من الموضوعات، ما بين الشرق والغرب، والزواج والطلاق، والإبادات الجماعية، وأطباق الكبدة والدجاج، ومستقبل الأسرة المزهر، والمجاعات في القارة السوداء .. وأنا أجاهد نفسي على المقاومة، وإدارة دفة الحديث نحو فوائد النوم والراحة،

وكف الأذى عن البشر، مع كثير من الصمت الميئِّس؛ لكن كل ذلك بلا فائدة، إنها تتمتع بروح قتالية عالية جدًّا .. إنها لا تُهزم ..

انتهت من حديثها -الذي لا ينتهي- ثم رجَّتني بعنف كما يرجُّ أحدكم زجاجة المضاد الحيوي لطفلته الرضيعة، صارخةً:

- محمد .. إيه رأيك في كلامي؟!

- كلام إيه؟ إنتي قلتي حاجة!!

قالت بلهجة أقرب إلى لهجة جنكيز خان حينما صرخ في طباخه الذي أخّر عليه الغداء:

- كل ده وماقلتش حاجة!! ثكلتك أوومك .. ده إبراهيم اللي في الحمام سمعني..

إبراهيم من الحمام:

- آه يا بابا، أنا سمعت موضوع الإبادات الجماعية ..

- يا حبيبتي أنا مسمعتش حاجة، عارفة ليه؟!

والشرر يتطاير من عينيها:

- ليييييه يا عينيا؟!

- بصي، أنا حاقول لك السر، بس ياريت متقوليش لحد عشان منروحش في داهية .. فيه سفينة فضاء خطفتني وأنا صغير، ومنحتني قدرات خارقة، بآكل زجاج وأمواس حلاقة، وحطولي في وداني حاجة بتخليني لما آجي أنام أغمض وداني، زي ما أنتم البشر بتغمضوا عنيكم .. وده يا حبيبتي اللي خلاني مسمعكيش .. بس، ده اللي حصل ..

ما لاحظته أنها قامت بسرعة وخرجت من الغرفة، وهمهمت بالكثير من الألفاظ التي يصعب عليَّ ذكرها هنا، ولا أدري لماذا!!

فاصـــلٌ جـــادٌّ جـــدًّا

راقصة الباليه

لو راودتك نفسك على الزواج فاجتهد في البحث عن راقصة باليه (هاوية غير محترفة)، تتحرك على أصابع قدميها، رشيقة القوام، خفيضة الصوت، دقيقة الفم ..

فإذا دلِفتْ إلى المطبخ وأنت تراقبها من بعيد أبدعتْ في الحركة ما بين الموقد إلى الثلاجة، حركات دائرية على أصابع قدميها تلقي بها الثوم في الطاسة، والخُضَر في الحلة، والبصل في المقلاة، لا تملك إلا أن تتمايل على وقع أقدامها طربًا، وتشاركها لفلفاتها الدائرية وصولاً إلى مائدة الطعام المستديرة على أنغام الألحان الدافئة.

وإذا أيقظت أبناءها للمدرسة وأنت تغط في نومك الدافئ، لم تشعر سوى بهمهمات تكسر حدَّة السكون، أنغام متقطعة كثيرة الشجن، تنبهك من نومك لبرهة، ثم ما تلبث أن تعود إلى زرابيّك باسمًا هانئًا.

أعِدُكَ لن تقفزَ من سريرك هَلِعًا على صوت صراخها، لن

يصيبك صداع الصباح النصفي نتيجة أنين أبنائك المعتادين على الأصوات الحادة العالية، حتى إنها إذا أرادت الصراخ فيهم أو النواح من نشاطهم الزائد لم يسعفها فمها الدقيق ولا أحبالها الصوتية الرفيعة..

ستنام، وتنام، وتنام .. ستستمتع بالنوم، ستغوص في نوم لا قرار لعمقه، ستحلِّق في فضاء الكرى، ستستيقظ صباح كل يوم سعيدًا نشيطًا باسمًا، ستحلم بتنورتها المنتشية، وبنطالها الأبيض الحريري الضيق، ستراها يوميًا في عالم آخر، وأبناؤك على المسرح الكبير يتراقصون في (بحيرة البجع) لتشيكوفسكي وصولاً إلى سريرك على يسار المسرح، يوقظونك على صوت (كسارة البندق). وفي نهاية اليوم تتلقفك يد (الأميرة النائمة) لتضعك في مهادك لتبدأ من جديد رحلة نعاس رائقة.

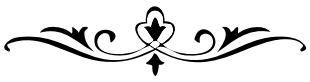

الساحرة الشريرة

اليوم أيقنت أن زوجتي ساحرة شريرة، تمارس السحر الأسود .. كالعادة أبحث عن جوربي الأسود، فأفتح الدُّرج فلا أجده، ناديتها:

- حبيبتي أين الجورب الأسود؟!

- في الدُّرج يا حبيبي.

- بحثت ولم أجده ..

وأكملتُ ساخرًا:

- هلا أتيتِ وأريتِنا مواهبك.

فأتت بكل سكينة وثقة بشعرتيها المنكوشتين، وفوطة المطبخ على كتفها، ممتطيةً مكنسة الساحرات، وطارت في أنحاء الغرفة دورتين، ثم استقرت أمام الدرج وتمتمت ببعض الكلمات الشيطانية: شعطبوت أخطبوت، هات الجوب لتموت، ثم فتحت الدرج ببطء

شديد، ومدت يدها اليمنى في رويَّة، وكأن الجوربين يتقافزان من وسط إخوتهما منادين فيها: خذينا يا ماما..

وكالعادة أسمعتني السيمفونية الرابعة لبيتهوفن التي تبدأ بقول الشاعر: عاوز الحاجة تقول لك:

أنا أهو أنا أهو أنا أهو * قمر أربعتاشر أهو**

وسط ضحكاتها الساخرة.

وكأن ثورةً لم تقم.

يا بيبي

جلسنا لنتناول طعام الغداء وأنا شاردٌ حزين، أفكِّر في حالة الاضطهاد التي سكنتني في هذا المنزل البديع، وقُبيل انتهاء الغداء قلت وكأنني أفكر بصوت عالٍ:

- نفسي حد يقول لي: (يا بيبي)..

جُلتُ ببصري على المائدة، لم يعرني أحدٌ اهتمامًا، الجميع منهمك في المضغ والتقطيع والهرس، مائدة يجلس عليها يأجوج مأجوج، وكأنني كائن صامت، على وضع الـ(vibration)، يتحدث بلا صوت مسموع، فقدت الأمل وقمت عن كرسيِّي وتوجهت ناحية الحمام لأغسل يدي، فإذا بصوت يخرق سمعي من الخلف، إنه إبراهيم، الفتى الطيب، ينادي وهو يحرك كتل الطعام المتزاحمة بين فكَّيه:

- هات لنا حلة الرز (يا بيبي)..

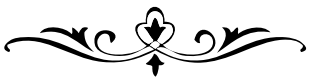

الصنم الأكبر

اليوم يوم إبراهيم كما أظن، أرادت أن ترفع من معنوياته قليلاً كي يكف عن مشاكسة أخته..

قالت:

- إبراهيم، ومن كإبراهيم في البر بأمه؟! يستحق أن يُصنع له تمثال تقديرًا لمجهوده وعطائه..

ثم استدارت ناحيتي بلا قصد، فتلاقت أعيننا للحظة، لسعتها نظرتي اللائمة بطرف عيني، أعترف أنني أحسن تسديد الضربات بهذه النظرة، إنها تلوم نفسها الآن؛ حيث لا أكاد أسمع كلمة تروي ظمئي في هذا المنزل (البديع) .. ازدردت ريقها، وأكملت بصوت متحشرج:

- نعم نصنع له تمثالاً صغيرًا بجانب صنم أبيه الأكبر..

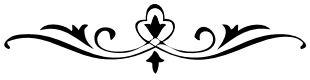

(مِنْدِل) وغسالة الأطباق

تسللتُ من باب الشقة إلى الردهة على أطراف أناملي، فوجدتها شاردة، تعدُّ على أصابع يديها، وتبدو على قسماتها أمارات الحيرة .. لم أعهدها كذلك ..

- كيف الحال؟ ما بك؟!

قلت ذلك وأنا أنطلق إلى غرفة النوم متصنِّعًا عدم الاهتمام..

لم تجبني، واسترسلت في ذهولها وغيابها عن الواقع تعد على أنامل كفيها، وتتمتم بكلمات غير مفهومة ..

- إيه يا حاجة، بتعدِّي إيه؟!

نظرت إليَّ بطرف عينيها، وهي سارحة في التفكير، قائلة:

- تعرف جريجور مندل؟

قلت في نفسي:

– آاااااه، ما هي ناقصاااااكي .. مين جرجير ده حضرتك؟

يبدو أنها استسخفت ما قلته، كان ذلك واضحًا من زمَّة شفتيها ونظرتها العصبية ..

– مندل، مش عارف مندل عالم الوراثة والتكاثر والأحياء!!

لم أفهم الرابط بين العد والردهة والكنبة (وزوجتي خصوصًا) ومندل، لكن على كل حال أجبت:

– أيوة افتكرت بتاع الصفات المتنحية .. ماله؟

أجابتني إجابة صادمة جديدة:

– أنا قررت أشتري غسالة أطباق ..

لو كنتَ إنسانًا طبيعيًّا، فعليك أن تصاب بحالة من الحَوَل المفاجئ مثلي من تلك الإجابة، ليس ذهولاً بقدر ما هي حالة من الحيرة، والإحساس بالغباء، والقهر، والإحباط، كوكتيل عجيب من المشاعر السلبية يقتحم عليك رأسك في تلك اللحظة غير المفهومة، هذا أمر عادي، فالإنسان الطبيعي حيوان مفكر، وإذا لم يتمكن

تفكيره من استيعاب العلاقة بين الأشياء فعليه أن يندهش .. طبيعي .. لكن يبدو كذلك أن اندهاشي لم يعجبها .. تخيل!! أنا طبعًا سكتُّ لأفكر جاهدًا؛ لاستكشاف العلاقة بين مندل وغسالة الأطباق، لكن لم يسعفني غبائي مع الأسف، فاستطالت فترة صمتي ..

- ما رديتش يعني ..

- أنا مش عارف أرد والله مش حاجة تانية، حسيت بس أني اتشلِّيت مش أكتر .. طب فهميني عشان أعرف أرد ..

اعتدلت في جلستها ولبست نظاراتها الطبية، وبدأت في إلقاء ورقة بحثية -فيما يبدو- بدأتها بالتالي:

- بسم الله الرحمن الرحيم، بعد استخدام المناهج العلمية في البحث، وعلى وجه الخصوص المنهج الوصفي والاستقرائي، وبمراجعة قوانين الوراثة والتكاثر من أمثال قانون: (الأشباه تُنتِج مثيلاتها)، وقانون (تُنتِج الحيوانات أبناءً كثيرة أكثر من احتياج المربي)، تبيَّن لنا من خلال الملاحظة الدقيقة وتسجيل البيانات اليومية، أن (المواعين) هي الجمادات الوحيدة القابلة للتكاثر؛ بل إنها

تتكاثر بالفعل عند وضعها في حوض الغسيل في المطبخ، بما يزيد عن احتياج ربة المنزل. وبناءً على ذلك ينصح الخبراء في هذه الحالة بشراء غسالة أطباق .. والله الموفق والمستعان .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

يقول تقرير الطبيب الشرعي: إن سبب الشلل النصفي كان صدمة عصبية حادة، وخلل في تزويد قشرة الدماغ الحركية بالدم. والصلاة على المرحوم بمسجد التوبة بعد صلاة العصر، والملك والدوام لله..

مفتي الجمهورية

سمية مُفتِيَة من طراز فريد، لها فهم مختلف في كل شيء، ولديها كميات ضخمة من المعلومات المؤلَّفة وليدة اللحظة، لا أدري من أين تأتي بها، أتخيل أحيانًا أن شيطانةً تزورها من حين لآخر وتزوِّدها بهذا الكم الهائل من المعرفة، ما يعجبني فيها أنها سريعة البديهة بشكل خرافي، تحب أن تُدلي بدلوها (الفارغ بالمناسبة) في كل حدث، وعلى وجه السرعة، لا أكاد أتساءل عن أمر إلا وأجد الإجابة في خِلقتي في لحظتها، مع أني لم أتوجه إليها أصلاً بالسؤال، لكنها تجيب متطوعة محتسبة -لله دَرُّها-، لا يتعلق الأمر برأي في قضية ما، وإنما بتدفق معلوماتي خطير في غير موضعه، تتحدث بكل ثقة وهدوء، وكأنها على اطلاع كامل بالموضوع من كافة جوانبه، وحضَّرت فيه رسالتي ماجستير ودكتوراه ..

على طاولة المذاكرة سألت إبراهيم سؤالاً لولبيًّا:

- لماذا سمي أبو لهب بهذا الاسم؟!

إبـراهيم لـيس لديـه أوبشـن اللـف والـدوران، يجيـب إجابـات مباشرة، ظل يفكر قليلاً حتى هداه ضميره الحي إلى الاعتراف بخفاء هذه المعلومة عن عقله، قال:

– مش عارف .. لا لا افتكرت، الأستاذة كانت قالت لنا أنه كان وشه أحمر زي النار ..

أما سمية فقاطعت أخاها بكل تلقائية وثقة، وصرخت فيه:

– لا طبعًا، إنت بتقول ايه؟! نار إيه ووش إيه؟! إنت مش عارف حاجة، سموه أبو لهب؛ لأنه كان بيطلع لهب من بؤه، زي التنين، ولما كان بيزعل كان شعر راسه بيولع زي النار ويطلع دخان ..

– استني استني.. إنتِ مين اللي قال لك الكلام ده؟

بكل ثقة أحسدها عليها:

– أنا عارفة .. أنا عارفة..

– عارفة منين؟! المعلومة دي وصلتك منين؟!

– موصلتنيش .. أنا عارفاها ..

الله يخرب بيت الكارتون اللي بوَّظ دماغ العيال ..

تـوافـق

بصوت متهدج قالت:

- أنتَ العيد ..

بصوت متهدج برضه قلت:

- بل أنتِ العيد ..

أطرقت إلى الأرض أمامها خجلاً .. عاجلتُها:

- حـديثك الطـروب يبعـث في نفسي الجـوع.. مـاذا عـن اثنـين شاورما وبعض البطاطس المحمرة؟!

مرحِّبةً باسمةً..

- هلمَّ بنا..

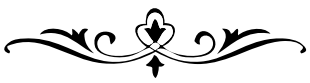

كوتي كوتي

أقبلتْ نحو الغرفة في لهفة .. هتفت من بعيد:

- حبيب قلبي إنت فين؟!

رددتُ والفرحة تغمرني؛ أن سمَّتني حبيبها ..

- أنا هنا يا حبيبتي ..

أقبلت نحوي، والبسمة تقسم شفتيها، فإذا بها -بكل حنوٍّ- تتخطاني لتتلقف كتلة من اللحم إلى جواري لطفل رضيع نسميه أَنَس، ثم تمتمت بكلمات سحرية لم أفهمها:

- كوتي كوتي .. زوكي زوكي ..

وسط ازبهلالي وفمي المفتوح على آخره .. انتبهت من غفوتي واستدركت الموقف، وبأعلى صوتي هتفت خارجًا من الغرفة:

- احم.. أيوة يا سمية يا حبيبتي بتناديني؟!

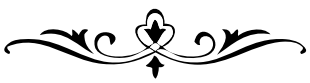

بابا حامل!!

لم تكن سمية مقتنعة بأن كل كائن في هذه الحياة له تخصص محدد يصعب أن يتعداه، فتداولتْ وأمها النقاش على مائدة الطعام حول هذه النقطة، وثار جدل ناري بينهما، فلم تجد أمها بُدًّا من إلقاء الكارت الأخير، الحجة الأقوى في تاريخ الفلسفة والمنطق والتاريخ والجغرافيا وكل العلوم الأرضية وتحت الأرضية، اتكأت بظهرها على كرسي السفرة، وجذبت نفَسًا طويلاً من هواء الغرفة المشبع برائحة الطبيخ والدجاج المحمر، تنهدت وقالت بصوت هادئ:

- أيوة يا سمية، كل مخلوق في الدنيا له وظيفة محددة، يعني ينفع بابا يحمل مثلاً ويخلِّف؟!

طبعًا قفزتُ من مكاني، وأوشكت على قذفها بكوب الماء الذي في يدي، لا أدري لماذا اختارتني أنا لتنزل عليَّ هذا المثال على وجه التحديد؟! ليه ماقالتش مثلاً: ينفع الديناصور يحمل بدل

الديناصورة، أو ينفع الجمل يولد بدل الجَمَلَة، أو الأسد بدل الأَسَدَة؟! أو الحصان بدل الحُصَانَة، أو القط بدل القطة، أو أي أُمٍّ كائن من الكائنات الـ٥٠٠ مليون اللي عايشين حوالينا؟! أو ليه ما نزلتش المثال على نفسها بطريقة تانية؟! ضاقت يعني؟! مفيش غير بابا هو اللي يمشي عليه المثل ويحمل ويولد ويتنيِّل؟!

المهم، بالتأكيد لن تفوِّت سمية هذه الفرصة لتثبت مهارتها الإفتائية المذهلة، قطعت قطعة الدجاج بقواطعها جاذبة إياها للأمام بيدها اليمنى، وقالت بسرعة وهي تمضغها على أضراسها الخلفية، موجهةً شعاع بصرها النفاذ إلى كرشي المتدلي وترهلاتي المتلظلظة أمامي:

- آه ينفع عادي، ما بابا حامل أهو، شوفي بطنه كبيرة أد إيه!!

طبعًا إجابة متوقعة من سمية على وجه الخصوص؛ لأنها غير متوقعة من أي أحد آخر، لكنها أصابتني بحرقة مباشرة في المعدة وغصة في الحلق، تجرعت مرارة الإجابة ووراءها شربة ماء أدفع بها غصة حلقي وقلت لأمها:

- يلا ياختي جاوبيها بنباهتك وذكائك اللا متناهي، ورينا، شوفي حتردي عليها إزاي ..

ازدردت ريقها وتلعثمت ثم قالت:

- لا يا سمية اللي عند بابا ده كرش مش حمل، الحمل ده محتاج أجهزة جوا الجسم عشان الشخص ينفع يحمل، النونو لما بيكون في البطن لازم يكون جوا كيس معين، وبابا معندهوش الكيس ده.

أنا:

- كيس؟! هي حصَّلت كيس كمان؟!

حكَّت سمية رأسها بأنملة سبابتها، وفكرت لـ٥ ثوانٍ، وبكل تلقائية أجابت:

- يعني باااااااااباااااااا (هكذا بمد الألف للتفخيم والتكبير والتضخيم) اللي عنده كوووووووول (هكذا أيضًا بمد الواو للتفخيم والتكبير والتضخيم) الكرش ده معندهوش كيس في بطنه يشيل فيه النونو؟!

لم أجد بُدًّا من التدخل، هذا الحوار العبثي يأخذنا لمنطقة غاية في

الوعورة، وسيتطور إلى كلام في الأعراض، يعاقب عليه القانون ..

صرخت فيها منزعجًا:

- هو كيس زبالة يا بنتي؟! بصي يا سمية يا حبيبتشي، ركزي معايا عشان الموضوع يعدي على خير، بدل ما أقوم أفجر نفسي فيكي، وفي أمك، وفي إخواتك، الست عندها جهاز اسمه الجهاز الحَمْلِي، الجهاز ده بيكون عند الستات بس، ومادام مش موجود عند الراجل الجهاز الحَمْلِي دا، يبقى مينفعش لا يحمل ولا يولد، حتى لو كان كرشة بحجم استاد القاهرة بالمدرجات باللاعيبة بالجمهور والحكام، واضح؟! وبعدين كلي يلا وخلصينا عشان عاوز أروح أعمل سوناااااااااار (هكذا بمد الألف من غير تفخيم ولا تكبير ولا تضخيم) ..

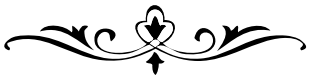

فـاصـلـه جـادّ جـدًّا

الملحمة الكرشية

ليس أحبَّ إلى المرأة في زوجها من كِرْشِه؛ فهو مُتَّكَؤها إذا تَعِبتْ، ومَلْهَاتُها إذا اكتأبتْ، وشبيهها إذا يومًا بالأطفال قد حملتْ.

يُضفي على حليلها الهيبة والوقارْ، ويمنحه الشموخ والثبات والاستقرارْ، ويقيه في الليل التقلُّبَ والوقوعَ في الأخطارْ.

فإذا ضحك الزوجُ اهتزَّ، وإذا طَعِمَ انتفش حجمُه واعتزَّ، وإذا نام سُمِع لنومه غطيطٌ وأزّ..

طَبْلَتُها إذا شعرت بالملْ، ومِنْضَدَتُها إذا ضاقت المائدة بالأواني والحِلْ، ورمانة ميزان السراويل والحُلَلْ.

يرقص على أنغامه الكبير والصغيرْ، وتضيء على ألحانه مصابيح وقناديلْ، ويحسم بوزنه الشُّبَهَ والأباطيلْ.

فما لها لا تحب كِرْشَه السمينَ شديدَ الاستدارةْ، الذي فاق التصورات في التشييد والعمارةْ، فتنهل منه أصول المدنية والحضارةْ!!

أحبيه..

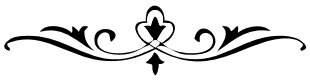

تسبيح على أناملها

ضوء خافت في غرفة نوم، يتوسطها سرير مستدير ذو غطاء أحمر شفاف.. جلسا على حافة السرير، حدّق في عينيها طويلاً..

- حبيبتي: أعطيني يدك..

أمسك بأناملها الرقيقة الناعمة .. سمعته يتمتم بكلمات لم تفهمها وهو يحرك أصابعها يمينًا وشمالاً ولأعلى وأسفل.. وبصوت متهدِّج قالت:

- حبيبي: هل تسبِّح على أناملي؟! أكاد أسمع تحميداتك وتكبيراتك المحلِّقة في سماء الغرفة ..

أطال النظر في عينيها مجددًا .. حتى ذهل عن العالم .. غاب عقله عن الوعي لدقيقة ثم انتفض واقفًا .. قال في صرع:

- خبر أسود .. المرتب خلص ولسه أول الشهر فاضل له ١٢ يوم .. سحقًا ..

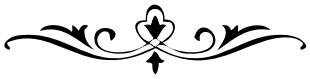

فيمتو ثانية

وضع الصغيران أطباق الطعام على المائدة، دعاني إبراهيم فأقبلت مهرولاً، أحاول اللحاق بعصافير بطني -أقصد ديناصوراتها- المتضورة جوعًا، والتي سبقتني إلى المائدة، ما أن جلست حتى بدأت سيمفونية اصطدام الملاعق بالأطباق وتحريك الطعام في الأفواه الجائعة، آلاف؛ بل ملايين؛ بل مليارات الأيدي تتحرك بخفة وسرعة على المائدة المستطيلة، التفتُّ إليها بطرف عيني فوجدت عينيها متسمرتين عليَّ، تحاولان اللحاق بتحركاتي اللولبية بين الأطباق، ولكن بلا فائدة، فجأة قالت:

- عارف مين اخترع الفيمتو ثانية؟!

أجبتها والكلمات تحاول جاهِدة مزاحَمة الطعام في فمي، وكأنها ركاب أوتوبيس مزدحم يحاول إدراك المحطة:

- أكيد طبعًا .. الزميل الأخ الأستاذ أحمد زويل ..

- لا مش هو ..

- يا دي الفكاكة .. أمال مين؟!

- أنت يا حبيبي ..

باندهاش:

- أنا؟! أنا صحيح دماغي ذرية، ومكتشف ومبدع، بس لسه ما وصلتش للفيمتو ثانية ..

- لا أنت بس مش واخد بالك ..

بمزيد من الاندهاش:

- إزاي؟!

اعتدلت في جلستها ورتَّبت العبارات في رأسها، ثم انطلقت تقول:

- انظر يا عزيزي .. إن لديك قدرةً عجيبة على تقسيم اللحظات إلى أقسام دقيقة للغاية، ولا تظهر تلك القدرة الخارقة إلا بعد وضع الطعام على المائدة .. حينها يتوقف لديك الزمان، وتبدأ في إجراءات عملية التجزئة ..

بشغف وعينين متسعتين:

- الله .. أكملي ..

- في الوقت الذي أمسك فيه أنا بالملعقة لألتقط بعض حبات الأرز أو المكرونة، تكون أنت قد استطعت -بقدرة قادر- أن تخلط الخضر المطبوخة بالكثير من حبات الأرز مع جزء غير ضئيل من السَّلَطة، وتقطِّع جزءًا من فخذ الدجاجة، وتقذف بجميع تلك الكتل الهشَّة لتُهرَس بين أضراسك .. وأنا أراقب أثناء ذلك كله، وأراقب فقط، وأرى الوقت يتفتت بين حركاتك السريعة المدهشة، فالثانية عندي -والتي تتسع لفعلٍ واحد أو نصف فعل- تتسع لديك لمليون مليون مليون فعل، حتى إن يديك لتختفيان من سرعتهما، وكأنهما وميض ضوئي بالغ القِصَر منطلق بسرعة خارقة .. و .. الله!! إنت فين؟! مش كنت لسه هنا؟!

- أنا في المطبخ يا حبيبتي، بصلَّح جهاز الفيمتو ثانية بتاع المخلل ..

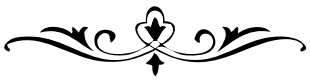

المخ الذرّي

أقبلت نحوي مسرعةً والشرر يتطاير من عينيها المحمرتين، أكاد أرى سُحبًا وزعابيب رمادية تطوف فوق رأسها المنكوش، توقفت أمامي واضعة يديها على خصرها، مسددة إليَّ نظراتٍ كالسهام المسمومة .. قالت بلهجة تهديد واضحة:

- إنت مابقتش تحبني زي الأول، مش قلت لك سمية محتاجة مريول جديد، الأمة العربية في خطر؟!

طبعًا عقلي البسيط في تركيبه وتلافيف مخه لم يستطع الربط المباشر ما بين حبي لها، ومريول سمية الجديد أو القديم، والأمة العربية التي في خطر، هذا الربط إمكانيات لا تستطيعها إلا المرأة بقدراتها الخارقة..

- إيه اللي دخل الحب في المريول في الأمة يا حبيبتي بس؟! اهدي شوية وخديني على قد عقلي معلش ..

- كل حاجة مرتبطة ببعضها، إنت اللي خلاص مابقتش مهتم ..

- رجعنا تاني ندور في الدايرة المفرغة، بصي- يا حبيبتي، مخ الراجل مش زي مخ الست، الراجل مخه متقسم لصناديق، كل موضوع في صندوق مقفول عليه، ولما تيجي تناقشيه بتدخلوا انتو الاتنين جوة الصندوق وتقفلوا عليكم، فسهل جدًّا تعرفي تتناقشي- معاه في موضوع واحد وتطلعي منه بنتيجة.

أما عقل المرأة فزي ساحة كبيرة واسعة، والموضوعات فيها مفتوحة على بعضها، ومتصل كل منها بالآخر بسلك كهربائي رفيع، والأسلاك دي كلها ملمِّسة على بعض، فسهل جدًّا يتفتح موضوع هنااااك في أول المخ عن طريقة عمل صينية بطاطس بالفراخ، فنوصل في نهاية النقاش للأزمات النفسية التي سببها الاحتلال الأمريكي للعراقيين بعد الحرب، بدون أي تأنيب للضمير ..

ويبقى الواحد بيناقش الست، ومش عارف يرد على إيه ولا على إيه؛ لأن الصناديق كلها مفتوحة وبتتناثر منها الموضوعات بطريقة هيستيرية، وغالبًا بتكون المهمة الأساسية ساعة النقاش هي إغلاق

صناديقها والجلوس عليها عشان ما تتفتحش في وشنا كل شوية .. فهمتي يا حبيبتي؟!

- إنت بتقول إيه؟ أسلاك إيه وصناديق إيه؟ إنت مابقيتش تحبني ..

أقول لها إيه دي؟! الحل الوحيد لمثل هذه المعضلة المستعصية على الحل أن تجيبها أنت أيضًا بإجابات لا علاقة لها ببعضها، ولا علاقة لها بالسؤال أصلاً .. حينها وجدت نفسي أردد بلا شعور:

- حاضر يا حبيبتي، حنصيف السنة دي في الساحل الشمالي، وحاشتري أكياس زبالة للمطبخ من الحجم الكبير، أما الغدا بتاع بكرة فاعمليلنا حلة عدس ..

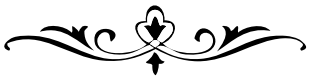

فـــاصـلـة جـــادٌّ جـــدًّا

عمى ألوان

كانت زوجتي دائمًا ما تسخر من جهلي بالألوان؛ ذلك أن الألوان عندي سبعة: أحمر وأخضر وأزرق وأسود وأبيض وأصفر وبني .. فقط .. أما بقية الألوان فإني أقرِّبها إلى أدنى درجة من درجاتها من تلك السبعة، فالبرتقالي والوردي والأرجواني مثلاً أحمر عندي، والسماوي أزرق، والزيتي أخضر، والطوبي بني، واللؤلؤي أبيض .. وهكذا ..

وقد اعتادت -بسبب تجاربي المحرجة معها- حينما أشرح لها لونًا ما، أن تستفهمني عن طبيعته ودرجته لعدم ثقتها في دقة وصفي، فإذا أخبرتها يومًا عن سيارة حمراء قالت:

- متأكد؟! طيب زي إيه هنا في الأوضة؟! وغالبًا ما أخطئ في تقدير اللون ..

كنت أحزن بادئ الأمر، لكنني أنا الآخر اعتدت أن أنطق اللون،

وأشير بسبابتي إلى ما أقصده في الغرفة أو في محلات الباعة في الطريق، فأبتسم، وتبتسم..

وإنني من موقعي هذا أبشرِّها بأنني تعرفت بالأمس على لون جديد، ذاكرته جيدًا وعرفت دلالته .. إنه الكستنائي .. زي البتاعة اللي هناك دي ..

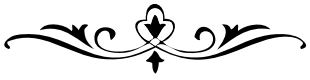

اليوم العالمي للمرأة

تسللت إلى الشقة بخفتي المتناسبة مع حجمي الضخم، أرسلت أنفي لتتحسس الطريق إلى المطبخ، فبعد العودة من العمل تتعطل جميع الحواس إلا حاسة الشم؛ بل حاسة شم الطعام فقط، إلا أن المكان مفرَّغ بشكل مبالغ فيه من أي رائحة، وكأنه يعاندني، قلت: ربما المطبخ مغلق ورائحة الطعام مركَّزة بداخله، العجيب أني لم أجد أحدًا في طريقي إلى المطبخ، وخيَّم السكون المريب على المكان بصورة أقلقتني ..

المهم دخلت المطبخ فوجدت أطلالاً من علبة تونة وجبن وخبز جاف، أما الطبيخ فلا أثر لتحضير أو إعدادات أوَّ لية حتى ..

هرولت في أنحاء الشقة كالمجنون خوفًا عليهم -هكذا أزعم- أو قلقًا على أمعائي المسعورة بالأحرى، التي أعرف أنها ستصاب بصدمة بعد قليل، فتحت باب الغرفة الداخلية فوجدتهم جميعًا

ممددين على السرير الكبير: يؤدي بعضهم فروضه المدرسية، وهي تطالع مجلة نسائية ..

تمالكتُ نفسي بالكاد، وقلت بنبرة هادئة مصطنعة:

- هي أمن الدولة صادرت الغدا ولا ايه؟!

- غدا ايه؟! النهاردة أجازة مفيش غدا ..

انطلق صوت أمعائي صارخًا صرخة مدوية ساخطة، وتمثلت أمامي ذئبًا، ذا أنياب حادة، يهمس في أذني بصوت مبحوح:

- لا تسكت عن هذه المهزلة .. انتقم، انتقم ..

استجمعت برودة أعصابي المعطلة، وسألت:

- إجازة ليه إن شاء الله؟! حد قريبنا طلع من السجن؟!

لم ترفع عينيها عن المجلة النسائية بغلافها المبهج، وقالت:

- النهاردة اليوم العالمي للمرأة يا سيد، هذه أبسط حقوق المرأة في مجتمعكم الذكوري الذي تسيطر عليه النظرة الدونية للنساء ..

يتردد صوت الفنان (أحمد عبد العزيز) في عقلي وهو يصرخ:

- عباس الضو بيقول لاااااااااااااا ..

استجمعت قواي، وحركت يدي فوق رأسي؛ لأدفع الدخان المنبعث من أعلاها، أتحسس أمعائي الباكية بباطن كفي الحزين وكأني أهدئ من روعها.. تذكرت الخاتم الذي في جيبي، هديتي إليها، أخرجته وبدأت التلويح به أمامها قائلاً:

- طيب أنا رايح أشوف لي واحدة تعمل لي الغدا، وهي أولى بقى بالخاتم ده، أسيبك عشان تعرفي تحتفلي بيوم المرأة كويس..

وهنا تدخلت العناية الإلهية ونظرت فوجدتها فجأة في المطبخ تقطع الكوسة شرائح شرائح، وتهمس في أذني بصوت حنون:

- عاوز لحمة ولا فراخ يا روحي؟!

ابتسمت ابتسامة انتشاء بالنصر مردداً:

- يحيا المجتمع الذكوري المتسلط.

قميصي الحزين

ورغبتُ يومًا في كَيِّ أحد أقمصتي فكتبتُ إليها:

- قميصي الحزين يتطلَّع إلى لمسة حنونة من أناملك الرقيقة.

فكتبتْ إليَّ:

- ذهبتُ لمواساة حزنه، فوجدته سعيدًا يضاحك عباءتي .. العب غيرها.

أنا:

- إيه؟!!

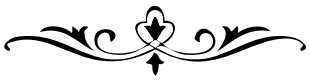

الأم ثم الأم

جلس طفلايَ لتناول طعام العشاء الذي كان عبارة عن خبز وبعض البطاطس المحمرة .. كنت جالسًا بعيدًا عن مائدة الطعام، لكن رائحة التحمير حركت عواطفي الدفينة تجاه البطاطس، أعترف أني أحب لونها وملمسها وطعمها ورائحتها، أعشق جميع تفاصيلها.

نظرتُ إلى الطفلين أستعطفهما، لعل عاطفة البُنوَّة تتحرك في دواخلهما فيَمُنَّان عليَّ بقطعة أو قطعتين ..

- مفيش حد كده يقول لي اتفضل يا بابا بطاطساية ولا أي حاجة؟!

طبعًا سمية لديها جسارة الحسم الأول دائمًا، فقالت بصورة بديهة، وهي منهمكة في المضغ والهرس، ودون أن تكلِّف نفسها حتى عناء الالتفات إليَّ:

- لا .. مفيش ..

يا أميرة يا بنت الأمرا .. شكرًا ..

لكن إبراهيم كالعادة قفز من مكانه -وسط تحسُّبي لما يمكن أن يكون وراء هذا القفز الغادر- واستدار ممسكًا ببعض البطاطس ومغادرًا مكانه ..

- الله عليك يا هيما .. هو أنا خلِّفت غير هيما ..

توجَّه نحوي بخطوات ثابتة، قلبي يطير من الفرح بفلذة كبدي الذي آثرني على نفسه، وتحمَّل أهوال الطريق من أول الردهة حتى آخرها كي يصل إلى أبيه الإسرائيلي المنبوذ، ولكنه في طرفة عين فاجأني بأن غيَّر اتجاهه ٩٠ درجة نحو أمه التي كانت جالسة في وسط يسار الغرفة، فأطعمها قطعة البطاطس في فمها، وقبَّلها في جبينها، رغم إنها لم تطلب منه شيئًا ..

ثم توجه ببصره إليَّ فوجدني مسكينًا فاغرًا فمي ذهولاً، فأقبل إليّ راحمًا ضعفي وغُلْبِي وغربتي في وسط الأسرة المتوحشة، فأطعمني قطعة مما لديه، ومسح بيده على رأسي، ملتقطًا بأصابعه دموعي التي نفرت عن عينيَّ المحمرتين، قائلاً بلسان الحال:

- امسك يا عم الحاج، ده احنا واكلين مع بعض عيش وملح.

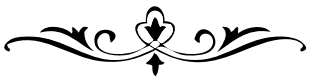

اتفاقية السندوتشات

حدَّقتُ في عينيها عدة تحديقات متسهوكة، أمسكت أطراف أناملها الرقيقة مداعبًا، جمعت يديها وضممتهما إلى صدري في حنوٍّ مبتسمًا ابتسامتي الحمقاء، واقتربت من أذنها اليمنى وهمست بصوت متهدّج:

– حبيبتي.. ابقي اعمليلي سندوتشات آخدها معايا الشغل وانتي بتعملي سندوتشات مدرسة إبراهيم الصبح .. بلييييز..

يبدو أنها كانت متوقعة نوعية أخرى من الحديث، قلَّبتْ الأمر في رأسها عدة لحظات، ثم سحبت يديها من يدي، واعتدلت في جلستها ورفعت حاجبيها واستدعت في مخيلتها شخصية السياسي المحنَّك، وقالت:

– نعم، لكن ينبغي أن يكون ذلك وفق ضوابط ومحدِّدات واضحة لجميع الأطراف المشاركة في هذه الاتفاقية ..

– نعم يا حاجة، محددات وضوابط إيه إن شاء الله؟!

- شوف يا سيدي:

١- ينبغي أن تتفق شطائرك في الجنس مع شطائر ولدك إبراهيم، ليكون الغرف من إناء واحد فقط.

٢- توحيد مصادر التلقي؛ الخبز فينو فقط، لا بلدي ولا شامي ..

٣- الإدارة غير مسؤولة عن برودة الطعام أو زناخة محتوياته بسبب الحر أو سوء التخزين ..

٤- لا سَلَطات ولا مقبلات أو مخللات؛ حيث إنها تحتاج وقتًا إضافيًّا للإعداد والتجهيز، وهذا غير متاح..

٥- على العميل إرجاع الأكياس البلاستيكية لإعادة استخدامها وتدويرها مرة أخرى ..

٦- الاتفاقية معمول بها فقط أثناء العام الدراسي، ويتم تجميدها أثناء العطلة الصيفية وإجازة نصف العام والأعياد والإجازات الرسمية..

نشكركم لاستخدامكم خدمة (طفَّحني شكرًا)..

وبيقولولي مش إسرائيلي!! ياختيييييييي!!

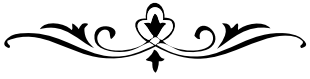

الدَّجاجة الحائرة

على مائدة الطعام وقت الغداء، أنا:

- ما تجيبي حتة فرخة يا سمية ..

بكل تلقائية ونكران للجميل، ردت:

- لا ..

ثم انهمكت في الحديث مع أخيها ومشاهدة مسلسل الكارتون ..

آه يا بنت الـ... وأنا اللي حارم نفسي من الغطا عشان تستغطي، ومن العشا عشان تستعشي!!

أشرت إلى أمها من طرف خفي أن اطلبي منها قطعة ..

فقالت أمها:

- هاتي حتة كده يا سمسم ..

أيضًا بتلقائية شديدة مدت يدها بنصف نصيبها، وهي لا تزال

متسمرة أمام الشاشة:

- اتفضلي يا ماما ..

تفضلت ماما -حفظها الله- وتوجهت إليَّ بابتسامتها الشريرة المعروفة، وقطعة الدجاج بين فكَّيها ..

فقلت بصوت متهدِّج -كالعادة-:

- شكرًا يا حبيبتشي ..

وجلبي جايد نااار..

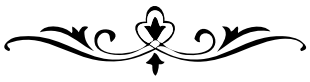

فاصـــلٌ جـــادٌّ جـــدًّا

حصن المسلم

في لقائي الأول بها كانت ساحرة جدًّا؛ لقد سحرت عقلي عن إدراك الحفرة التي تنتظرني..

تزوجتها، وتمنيت أن يعود بي الزمان لأحصِّن نفسي من سحرها بالأذكار..

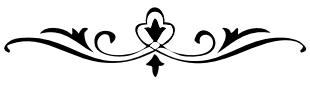

باليه بحيرة البجع

صوت صرصور الحقل يتردد في جنبات الغرفة، حالة من الملل تسيطر على الأجواء .. أنا:

- ما تيجي نعمل حاجة مختلفة ..

هي:

- نعمل إيه يعني؟!

- تيجي نشغَّل أنشودة ناعمة ونرقص عليها (باليه) أنا وإنتِ؟!

قلَّبت بصرها في نواحي كرشي المتدلي من الأمام والترهلات المتلظلظة من الجانبين .. نظرتْ وصمتتْ طويلاً..

أظنها غاصت بعقلها في تلافيف بطني، محاولة النفاذ بين الدهون الكثيفة في أنحائها، يبدو أنها فشلت، وكأني برأسها المتلفِّع بالإيشارب الزيتي، وفمها المفتوح على آخره، تقول في نفسها:

- باليه مين يا عم الحاج بكرشك ده!!

انتبهتُ على كلماتها الممزوجة بابتسامة صفراء، قالت:

- وماله يا حبيبي، وماله، يلا بينا، بس فيه مشكلة ..

بتوجُّس أجبت:

- مشكلة إيه؟

-حنلبس ايه؟ الباليه ده محتاج لبس خاص ..

فركتُ في رأسي كثيرًا بأطراف أناملي، وتوجهت إلى الدولاب أتفحص ما فيه، ثم هرعت إليها ..

- وجدتها ..

- ايه؟!

- بصي يا ستي، أنا حالبس الكلسون الأبيض بتاع الشتا، ومعاه شوية إكسسوار لزوم خفة الحركة، وإنتِ شوفي أي جيبة وثبتيها من الجناب بالخرزانة اللي بنضرب بيها العيال ..

تمتمت ببعض الأحرف في سرها (أنا إيه اللي جابني هنا)، وبمزيد من الامتعاض أجابت:

– تمام تمام، بس عاوزين نحدد حنرقص على إيه، عشان يكون فيه منهجية في الحركة، ولا تخرج الحركات بصورة عشوائية لا منطقية ..

تملكتني الحيرة لبرهة، لكنها لمعت في رأسي:

– طبعا بحيرة البجع لتشيكوفسكي ..

نظرت من جديد إلى كرشي شديد الاستدارة، وكأني برأسها المتلفع بالإيشارب الزيتي يصيح مرة أخرى:

– بحيرة البجع مين يا عم الديناصور إنت!! مش شايف نفسك ولا ايه؟!

حدقت إليَّ، وبابتسامة صفراء قالت:

– أوكيه أوكيه، جميلة بحيرة البجع.. يلا بينا ..

لبست الكلسون واستحضرت أمامي جميع راقصي وراقصات الباليه الذين رأيتهم في حياتي ..

رفعت يدي إلى أعلى بحركة دائرية، ورحت أقف على أطراف أصابعي، وأدور وأدور حتى اصطدمت بالحائط بقوة..

طبعًا لم يلفت انتباهها سوى الاهتزازات العنيفة التي كان يصدرها كرشي المتين ..

وما أن اصطدمتُ حتى استلقت على ظهرها من الضحك، تلقفتني، وأجلستني إلى جوارها وربتت على كتفي وقالت في حنوٍّ:

- مالك بس يا حبيبي، م إنت كنت كويس، أنا عارفة المثقفين أعصابهم بتبوظ بسرعة، بص سيبك من الباليه وحاعمل لك سندوتشين فراخ بانيه .. سيبك من الباليه وخلينا في البانيه.

مسحت بعض حبيبات العرق عن جبيني وبابتسامة سعيدة قلت لها:

- ماشي بس كتَّري الكاتشاب والمايونيز ..

ملوخية بالكوسة

صوت صرصور الحقل يتردد في جنبات الصالة خافتة الإضاءة:

- حناكل إيه بكرة يا حبيبتي؟

- فاصوليا إن شاء الله، وفيه كيس بسلة حاطبخه معاها؟

- كويس، بس أرجوكي متحطيش البسلة على الفاصوليا زي ما عملتي في البطاطس المرة اللي فاتت، خلي كل نوع خضار كائن حر مستقل بذاته مستمتع بكينونته ..

- هو فيه حد يحط الفاصولياع البسلة؟ نوعين خضار على بعض؟! إيه العك ده؟

- يعني البطاطسع البسلة هو اللي مش عك؟

- أيوة طبعا، البسلة والفاصوليا لون واحد، الاتنين خضر، مفيش تناسق لوني، لكن البطاطس بيضا والبسلة خضرا، فماشيين مع بعض ..

- نعم! يعني هي المشكلة في اللون؟

- طبعا، إنت بس اللي مبتعرفش تاكل، عندك مثلا الملوخية مع الكوسة المطبوخة بتبقى جميلة ..

- يا سلام ع العك، طب ما هما الاتنين خضر؟

- لا، الكوسة لما بتنطبخ مابتفضلش خضرا، بتبقى بيضا مائلة إلى الحمرة المموهة بالبينك الوردي، مع قليل من الدانتيل الأصفر في الوسط ..

- يا مرارتي أبويا ياني ..

حـوار عـبـثـي

حادثة تتكرر..

أنا:

- تعـرفين أن بعـض أحـداث المجتمعـات المعـاصرة تـؤثر عـلى كثير من الكيانـات، فتحدث حالة من الاستقطاب الفكري الذي يتحـول بـدوره إلى حالـة تنـازع وانفصـال تـام بـين مفاصـل الحركـة الواحدة؟!

هي:

- يا بنتي اكتبي نقطة الجيم تحت مش فوق ..

أنا:

- آه والله زي مبقولك كده ..

هي:

– معلش ماخدتش بالي .. بتقول ايه؟!

أنا:

– كنت باقول تعرفين أن بعض أحداث المجتمعات المعاصرة تؤثر على كثير من الكيانات، فتحدث حالة من الاستقطاب الفكري الذي يتحول بدوره إلى حالة تنازع وانفصال تام بين مفاصل الحركة الواحدة؟!

هي بعصبية:

– يا إبراهيم، هات الريموت وسيب أختك تكتب واجبها .. بطَّل مرازية ..

أنا:

– آه والله .. هذا من وجهة نظري المعدومة الفائدة ..

تبادلنا الضحكات حول الحوار العبثي..

هي:

– بتقول إيه بس؟! عيد تاني ..

أنا:

- كنت بأقول لك: عاوز بيض بطماطم .. وحمري جنبه بطاطسايتين .. ومعاهم شوية سلطة طحينة.

أتوجَّه إلى سمية:

- يا بنتي نقطة الجيم من تحت مش من فوق ..

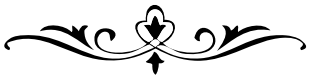

دبدوب العاشقين

همست في أذنيه بصوت متهدج -كالعادة-:

- حبيبي، سأتخذك رمزًا للحب ..

- بل أنتِ الرمز حبيبتي؛ منك تنبع بحار العشق، وتتدفق أنهار الشوق ..

- كلا حبيبي؛ بل أنت أيقونة العاشقين؛ أنا لا أصلح؛ فلستُ بذاتِ كِرْش منفوخ كدبدوب الفلانتاين، ولا تسكن خدَّيَّ الكلابيظُ والوظاويظُ كمثله، ولا ترتفع فانلتي الداخلية عن بطني حين أجلس.

- حبيبتي، تبًّا لكِ.

صينية البطاطس

تسللتْ إلى غرفته بخفة على أطراف قدميها .. وجدته متسربلاً بالحزن، محدقًا بعمق في سقف الغرفة ..

- ما لك يا بيبي؟!

التفت إليها التفاته الواجم، ثم أشاح بعينه عنها ولم يرد جوابًا ..

أعادت على مسمعه السؤال بنبرة حنونة..

- حتخبي عليَّ؟!

- دعيني فإن الطواحين تدور في رأسي.. ألا ترين حال البلد والجماهير العريضة؟!

- البلد؟! آاااااه .. طيب الأكل ع الترابيزة، مش حتاكل؟!

– أحدثك عن مصر، وتحدثينني عن الطعام!! كيف يطيب لي الطعام وأنا قلق على بلدي؟! دي مصر يا بنتي .. مصر ..

– صينية البطاطس حتبرد .. إنت حر.. خلي مصر والجماهير العريضة تنفعك.

بذهول أجبت:

– صينية بطاطس!! تمتلكين سبلاً قوية في الإقناع حبيبتي .. خاصة لو كانت في الفرن، ومحمَّلة باللحم المفري وشرائح البصل الرقيقة ..

– طب يلا عشان الجماهير العريضة مستنية .. وسيبك من إعلانات البيتزا دي ..

– معلش يا مصر، حاكل وأرجع لك ..

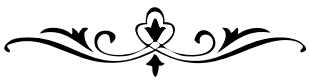

السؤال العجيب

فتحت باب المنزل قافلاً من العمل، وحينما دخلت فاجأتني بالسؤال الرهيب وعيناها تطلقان شررًا كالقصر:

- ما لك لا علَّقت ولا قلت حاجة يعني؟! مالاحظتش حاجة في المطبخ وإنت نازل؟!

هو أنا لحقت أدخل يا ربي عشان الاستجواب ده؟!

في العادة أخرج من المنزل في السادسة والنصف صباحًا، وفي هذا التوقيت أستيقظ من نومي، وأسير داخل المنزل مغمض العينين تقريبًا، حتى يفاجئني ضوء الشمس بالخارج فأفتحهما رويدًا رويدًا .. فلا فرصة لرؤية أي شيء صُنع في المساء أو لم يُصنع ..

دخلت المطبخ، وتطلعتُ، ورمقتُ، وحملقتُ، وشخصتُ،

وحدَّقتُ، وبرّقتُ، فلم أرَ شيئًا، لكنني لاحظت أن المطبخ نظيف ورائحته عطرة، فقلت:

- نظيف ما شاء الله، الله ينور ..

فقالت:

- لا مش قصدي ..

فحملقتُ، وبرّقتُ، وحدّقتُ، مرة ثانية، دعكتُ عيني جيدًا لكنني لم أرَ شيئًا .. أحاول أن أكتشف ما تقصد؛ لأنني أعرف عاقبة عدم ملاحظة مثل هذه الأشياء ..

فقلت:

- آه والله ريحته حلوة، هاااااحححححح ..

فقالت: لا ..

وبعدين بقى!! هي بتعجزني ولا إيه؟!

طبعًا عند العودة من العمل لا يكاد الرجل يرى أمامه، ولا من

بين يديه ولا من خلفه، لا يسكن في مخيلته في هذا الوقت سوى طبق الطعام والسرير، وهي مصرّة أن أكتشف الكنوز المخبأة هناك وهناك في ساحة المطبخ ..

زادت حيرتي، فقلت لها:

- لا أدري، أخبريني أنتِ ..

فأشارت إليه، ذلك القابع في فتحة لا تتجاوز خمسة وعشرين سنتيمترًا في أعلى الحائط الشمالي في المطبخ، إنه الشفاط الصغير، نظرت إليه فلم أفهم ماذا فيه، فقلت:

- ما له الشفاط؟! (ما له الكاسيت!!)

فأجابت بامتعاض:

- لقد فككته ودعكته ونظفته، ألا ترى النظافة، والبياض، والتعقيم، واللمعان كالبرق الخاطف في الليلة المظلمة!!

- أيواااااه فعلاً .. يا خبر أبياااااض، ده أنا عيني كانت

حتتعمي من البرق الخاطف في الليلة المظلمة..

وفي سري: يا شيخة برق خاطف يولع في الكفرة، وليلة ظلماء على المفتري وابن الحرام ..

نظرت إليها في سهوكة وعينين ناعستين، وبصوت متهدج:

- ياه يا حبيبتي، مش عارف من غيرك كانت حتعمل إيه كل شفاطات العالم، دعيني أقبل جبينك نيابة عن جميع شركات الشفاطات عابرة القارات ..

الحمد لله الطاسة التيفال ماجاتش في دماغي.

أشغال شاقة مؤبدة

استيقظتْ من نومها في هدأة الليل، تحسستْ موضع حبيبها فلم تجده في مكانه، فتَّشت، حتى وجدته جالسًا في الظلام على مائدة المطبخ، الطعام أمامه والدموع تنزلق من عينيه بشراهة، يمسك بيده اليمنى ورقة من التقويم الميلادي تحمل تاريخ اليوم..

أدهشتها عبراته .. داعبت شعرات بيضاء في رأسه، وهمست بصوت متهدج (كالعادة):

- ماذا بك حبيبي؟!

أطرق إلى الأرض والدموع تملأ عينيه، رفع رأسه ببطء ونظر بلهفة إلى عينيها العسليتين في تضرع، وهمس إليها (برضه) بصوت متهدج:

- تذكرين حبيبتي منذ خمسة وعشرين عامًا حينما رفضني أبوكِ

وهددني بالحبس المؤبد؟!

- نعم حبيبي أذكر جيدًا .. هذه ذكريات صعبة .. لماذا تستدعي هذه الآلام من الذاكرة؟!

تعالَى نشيجه وتسارعت الدموع الساخنة على وجنتيه الحمراوين، وقال بصوت متهدج (برضه):

- لو سجنني أبوكِ لكنت الآن حرًّا طليقًا ..

سقطت المسكينة من الصدمة .. أزمة قلبية مصحوبة بذبحة صدرية..

(مقتبسة)..

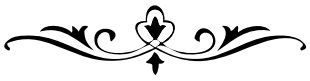

الجملة المحظورة

– مش ملاحظة أن وزنك زاد حبتين؟!

ما الذي دفعني لأرتكب هذا العمل الإجرامي؟! وزنك زاد؟! هل طار عقلك يا رجل؟! وهل يقول ذلك رجل يملك ذرة من عقل!! بصراحة توقعت منها الإنكار والانفجار في وجهي كعادة كل النساء، فهن عدوات من يواجههن بهذه الحقيقة المؤلمة، لكنها صدمتني بأمر خطير!! رفعت إليَّ عينيها ببطء، وكأني أسمع في الخلفية لحن الفك المفترس .. إلا أن الرد جاء هادئًا جدًّا وعقلانيًا جدًّا جدًّا ..

– اسمع .. الزيادة ملحوظة، وهي أمر مطلوب؛ فإنه ينبغي للزوجة أن تكون سمينة، بعكس العزباء؛ ذلك أن الزوجة سكن للأسرة، فكيف للسكن أن يكون صغيرًا نحيفًا؟!

كيف للسكن أن يستوعب مشاعرك ومشاعر أبنائك، وتأوهاتكم، وطلباتكم التي لا تنتهي، إلا إذا كان كبيرًا ضخمًا، ذا قدرة عالية

على امتصاص الصدمات؟!

أتابع الحديث وأنا مزبهلٌّ جدًّا، عيناي متسعتان بلا حدود..

واصلت حديثها:

- ما يحدث للمرأة بعد الزواج هو عملية تحوُّل منطقية جدًّا، تمامًا كما يحدث لبعض المخلوقات التي تتكيف مع الواقع المحيط، لتكون أكثر ملاءمة للظروف البيئية المختلفة، كيف لتلك النحيفة الخشبية أن تتحمل وقفة المطبخ، والانتصاب للمواعين، وخبطة كرة في ظهرها، وخَرزَة مسدس في رأسها؟! ورفسة رضيع ليلاً، وهبدة غلام نهارًا؟! إنها تحتاج إلى عدة مصدَّات وسدود لتحد من التأثيرات الموجعة لمثل هذه الصدمات..

- يا خبر أزرق .. د. مصطفى محمود؟! أكملي ..

- شكلك مش قاري داروين كويس .. راجع (أصل الأنواع) عشان تفهم نظرية التطور ..

بازبهلال منقطع النظير وفم مُشرَع على مصراعيه:

- حاضر .. حاضر ..

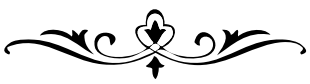

ولما تلاقينا على سفح رامةٍ

كالعادة دار بيننا حوار عبثي عن أن المرأة كائن مبرراتي سفسطائي مجادل بطبعه، وماهر في التفسير غير المنطقي للأحداث، وكيف أن الرجل يعلم تحويراتها ولكنه يمرر الأمور كي تسير السفينة بسلام، لكنها كالعادة لم تقتنع ..

– بصي- يا ستي أنا حاثبت لك أن كلامي صح، عارفة البشمهندس قيس بن الملوح؟! مجنون ليلي .. اللي قال:

ولمَّا تَلاقينا على سفحِ رامَة
وجدتُ بنان العامريَّةِ أحمَرا
فقلتُ خضبت الكفَّ علَى فراقنا؟!
قالت: معاذَ الله، ذلك ما جرى
ولكنَّني لما وجدتُكَ راحلاً
بكيتُ دَمًا حتى بللت به الثرى
مسحت بأطراف البنانِ مدامعي
فصار خضابًا في اليدينَ كما ترى

– ايوة عارفاه وعارفة الأبيات دي، من أجمل ما قيل في العتاب

..

- أجمل ما قيل في العتاب؟! دي أجمل ما قيل في الاشتغالات، شوفي .. الراجل الطاهر ده يا ستي سافر في يوم من الأيام ورجع فوجد ليلى حبيبة قلبه صبغت إيدها بالحناء، رغم البُعد الذي كان بينهما، فكأنها لا تأبه لفراقه، ولا يهمها بُعده .. فاستنكر ذلك، وقال لها معاتبًا:

- إيه يا ليلى!! (خضبت الكف على فراقنا) يا جزمة؟! وأنا اللي متغرَّب ومسافر برة ومتعذب مع الكفيل عشانك!!

وجدت ليلى نفسها في ورطة، فالرجل وجدها متلبسة، والحناء في يديها، ولن تستطيع الإنكار، ففكرت في الفعل الفطري لدى كل امرأة وهو التبرير والجدال والاشتغالات، ورددت في نفسها:

- يعني كان لازم حِنَّة وكوافير والراجل غايب إنتِ كمان!! شوفي ياختي حتتنيلي تقوليله إيه دلوقت!!

فهداها شيطانها الساذج إلى اشتغالة لا تنطلي على أحد:

قالت: معاذ الله ذلك ما جرى

ولكنني لما وجدتك راحلاً

بكيت دمًا حتى بللت به الثرى

وكانت ظروطة حضرتك والدنيا اتحاست يا قيس والله، حتى أنا قمت نضفت وسيأت الصالة والطرقة والحمام..

واسترسلت:

مسحت بأطراف البنان مدامعي

وهوب دبل كيك ..

فصار خضابًا في اليدين كما ترى

.. يا سبحان الله!!

طبعًا الاشتغالة اللي فاتت دي كلها كوم، وأن قيس سكت ولم يعلق على هذا الهذيان كوم تاني!!

فإما أنه لم يصدقها وأسرَّها في نفسه وسكت، وقال في سره:

- ما هما الستات طول عمرهم بيشتغلونا، يعني هي جات على الهجص ده؟! يا عم كبر مخك..

ورد عليها بِفَكٍّ اللمبي الأعوج:

– يااا خرابي .. يا سبحان الله ..

وإما أنه أصيب بجلطة أو ذبحة فسقط مغشيًا عليه من فوره، ونُقل بعدها إلى العناية المركزة، ولما أفاق من الصدمة سجَّل هذه الأبيات مخلدًا لأعظم اشتغالة عتابية على مر التاريخ .. اقتنعتي؟!

– هاه؟! اقتنعت آه .. اقتنعت ..

آكل لحوم البشر

هرولتْ ناحية الهاتف تسابق الرياح في حركة هيستيرية والدموع تنهمر من عينيها، تتلفت يمنة ويسرة بشعرها المنكوش وكأنها تهرب من شيء ما ..

التقطتْ السماعة وصرخت:

- أمي: أدركيني؛ إنه يلتهم كل شيء..

أقبل ناحيتها من بعيد بملابسه الداخلية البيضاء وفانلته ذات الحمالات المخروقة من الجانب الأيسر، يتقدم ناحيتها عبر الطرقة الطويلة في هدوء ممسكًا بكلتا يديه بثمرة مانجو ضخمة، يلتهمها ببشاعة، تظهر على جانبي فكه أطلالٌ صفراء لزجة، تقدَّم نحوها والذعر يسيطر على تفكيرها، وقف إزاءها تمامًا .. رفعت رأسها نحو وجهه في تقزز تام وهي ممسكة بسماعة الهاتف والعرق ينصبُّ

من جبينها، وما أن التقت عيناهما حتى ابتسم ابتسامة صفراء أسفرت عن فتائل المانجو المدسوسة بين أسنانه، وتزفلطت البذرة الضخمة من بين فكيه فأصابت عينها اليمنى إصابة مباشرة .. وانقطع الاتصال ..

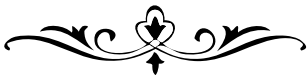

عشقي الأول

انطلقتُ كالسهم من غرفتي نحو مائدة الطعام، كجواد مسرع نال الجائزة الأولى في سباق الجراند ناشيونال البريطاني، جلستُ على الكرسي وتضلعتْ رئتاي برائحة الطعام الزكية، أغمضتُ عينيّ وحلّقت فلم أسمع سوى همهمات قيثارة ناعمة تداعب أمعائي الجائعة .. انتفضتُ فجأة على صوتها الصادم ..

- فيه ايه؟! متخليك معانا هنا ..

- يا فتا ح يا عليم .. مالك يا ستي؟! سيبيني أعيش اللحظة..

تداركتْ الموقف سريعًا حينما شعرت بأنها قطعت عليَّ حبل استمتاعي برائحة الطعام .. ملَّست على شعري الناعم وقالت بصوت متهدج:

- حبيبي .. أراك مغرمًا بشكل غير طبيعي بالطعام، ألمح في عينيك بعد انتهاء كل وجبة وفي أثنائها حنينًا وشعورًا مفعمًا بالفرح، لا أكاد أجدك بجانبي على المائدة؛ بل تحلِّق بين أسراب المحبين،

تتبادل مع الأطباق نظرات لا أفهمها، إنني لأغار من قطعة اللحم بين يديك، رأيت كثيرًا من يقبِّل الخبز إجلالاً واعترافًا بالنعمة، لكنني لأول مرة أرى من يقبِّل أصناف الطعام عشقًا وتتيُّمًا، أشعر أنها تتحول بين يديك عروسًا في ليلة الزفاف، أو حبيبة حسناء ذات شفتين ورديتين! أغار عليك حبيبي ..

- حبيبتي .. أنا جنتي وبستاني في بطني، أينما رحت فهي معي، إن أكلي سعادة، وشُربي زيادة، وجلوسي للطعام حرفة وريادة .. هرمونات السعادة، وما أدراكِ ما هرمونات السعادة!! إنها تسكن أمعائي كالوسادة، فبها الرئاسة والقيادة، وبعد كل عزومة ووِفادة، أحلِّق في الفضاء بغير عادة .. يلا هاتي الفراخ يا ميادة، وربنا ما يقطع لك عادة ..

شرعت فمها على غير عادة، واستقبلتني بالبلادة، رددت صوت القلادة:

- بالهنا تنول الشهادة ..

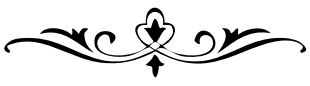

يـا راجـل يـا عـجـوز

المشهد الأول: مسحت بأناملها الرقيقة على شعرات بيضاء في رأسه الضخم، وقالت بصوت متهدِّج:

– حبيبي: لقد أصبحت أكثر حكمة .. هاااه .. أعشق هذا الشعر الأبيض ..

افترَّ ثغره عن بسمة متأمِّلة، واحتضنها في سكون ..

مشهد مقابل: نظرت باشمئزاز إلى شعره المتسربل بالبياض، وقالت بصوت يملؤه الفحيح:

– مالك عجزت كده ليه؟! اصبغ شعرك ده ولا اعمل فيه حاجة .. فين أيام الشباب والشعر الأسود الناعم ..

نظر إليها في غضب، وسفخها بالكف في خِلقتها وأدار وجهه ونام في سكون..

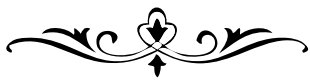

حفل الاستقبال

اتصلتْ بي قبل وصولي للمنزل لتخبرني بأن الرضيع مريض ويحتاج لفحص طبي، أخبرتها بأن تتجهز وعندما أصل لباب العمارة سأتصل بها لتنزل معه لنذهب به للفحص، ولينتظر الأبناء الكبار في المنزل لحين عودتنا..

وصلتُ واتصلتُ بها فنزلت إليَّ وذهبنا ورجعنا، وعند عودتنا يفترض أن الأطفال لم يروني من ساعة نومهم في اليوم السابق، من حوالي التاسعة مساءً وحتى السادسة من مساء اليوم التالي، أي حوالي ٢١ ساعة بالتمام والكمال من البعاد والغربة عن أبنائي أحبابي، فتحت باب الشقة ودخلت فوجدت الأحضان مبسوطة بلهفة غير عادية، ينطلقان نحو الباب تسابقهم صيحات الفرحة والسعادة والاشتياق، طرحتُ المفاتيح جانبًا استعدادًا لاستقبال تلك الأحضان الدافئة، بسطتُ ذراعيَّ أنا الآخر لاستقبالهما

وأغمضت عيني لأستغرق في هذه المتعة اللا متناهية، وفجأة تجاوزاني في اللحظة الأخيرة منطلقيْن نحو أمهما، ويلهج لساناهما بعبارات الشوق والمحبة، فلم أجد بدًّا من تصنع البلاهة واحتضان نفسي تفاديًا للحرج، مستمعًا لهذه العبارات المستفزة:

- ماما ماما، وحشتيني أوي يا ماما، البيت كان مضلم من غيرك، الكرة الأرضية أوشكت على الزوال حينما خرجتِ يا أمي، لقد خسرت إنشين من خصري وثلاثة إنشات من أردافي بعد انصرافك يا أمي، لا تتركينا ثانيةً في هذا السراب المجهول، لقد ابتلَعَنَا هذا الثقب الأسود والتهمتنا وحوش العزلة بعد انصرافك يا أماه ..

طبعًا نظرتْ إليَّ بابتسامتها الصفراء المعتادة، فجذبت الطفلين من قفاهما وصحت فيهما:

- مش دي أمكم اللي كانت لسه معاكم من نص ساعة يابني إنت وهي؟! لحقت توحشكم؟!

سمية:

- نوووووص ساعة بحاااالهاااا (هكذا بمد الواو والألفين للتعظيم والتكبير والتفخيم) من غير الأم تساوي عمر بحاااالووووو يا بابا (هكذا أيضًا بمد الألف والواو للتعظيم والتكبير والتفخيم)..

وكأني بصوت ناي حزين يعزف في خلفية المشهد..

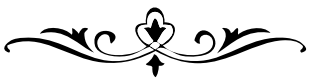

جحيم الفلسفة

بالكاد خرجتُ من الحمام بعد أن حظيتُ بحمام دافئ، أفسده كثرة التخبيط والترزيع على الباب، أقبلتْ نحوي في عصبية، شعرها منكوش، وملعقة الغَرْف مرفوعة بيدها اليمنى وتتساقط منها قطرات الحساء الساخنة..

استعذت بالله من المشهد القادم، فهذا التحفز بالتأكيد وراءه شيء ما..

- حتى الحمام مش عارف آخد راحتي فيه؟! منكم لله..

- راحتك إيه؟! انت بتتأخر في الحمام كده ليه؟!

- هذا هو الوقت الطبيعي لتنشيف جسمي..

- كل الوقت ده؟! حرام عليك، الأولاد بيحتاجوا الحمام..

نظرتُ شزرًا إليها وإلى الطفلة التي تتلوى أمامي من المغص،

وكادت قدمي تنزلق عن عتبة الحمام نتيجة تدافعنا نحن الثلاثة على الباب..

توجهتُ إلى الغرفة وناديتها:

- تعالي .. أغلقي الباب ..

أجلستها وتوجهت نحو السبورة وأمسكت القلم ..

- تفهمين قوانين الفيزياء والرياضيات وحساب المثلثات والجغرافيا؟!

وقفت بعصبية:

- إحنا حنتفلسف؟! أنا مش فاضية ..

- اهدئي واجلسي يا حبيبتي .. انظري .. لحساب الزمن ينبغي علينا أن نعرف الحجم والكتلة ومساحة السطح، وأنا رجل مساحة سطحي كبيرة، مليء بالتضاريس المتنوعة، فزمن تنشيف الأجسام ذات الماهية يتناسب طرديًّا مع مساحة سطحها .. وتأملي رحلة دفقة الماء المنبعثة من الدش، بدءًا من ارتطامها بهذا الرأس الضخم، مرددة

دعاء السفر، وانتهاءً بالقدمين، كيف تمر في جسدي بمنحنيات خطرة، ومنعطفات زلقة، وجبال شاهقة، وأودية سحيقة، وأرخبيلات متقاربة، ولظاليظ مكلبظة تعطل حركتها، فهذه مسافة كبيرة جدًّا مليئة بالمعيقات والعقبات والسدود والأخاديد والمنخفضات والمطبات .. واضح؟!

لوَّحت لي بكفها الأيسر، وانطلقت إلى المطبخ رافعة كفيها إلى السماء، ولسانها لا يكف عن البرطمة كما هي عادتها:

- تطلع على ضهرك يا اللي اخترعت الفلسفة والمنطق، كان إيه اللي جوزني واحد مثقف يا ربي؟!

ناديتها من الغرفة:

- حاجيبلك كتاب «الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان» للمسيري عشان تفهمي مسألة مساحة السطح كويس..

مسكينة لا تزال تكلِّم نفسها حتى هذه اللحظة..

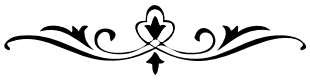

طبخة اليوم الثاني

دائمًا ما يشكل اليوم الثاني في أي طبخة أزمة عائلية على مائدة الطعام؛ ذلك أن المتبقي من هُبر اللحم أو الدجاج لا يكفي إلا لإطعام الأولاد، وعليه فإن عليَّ وعلى زوجتي -وعليَّ أنا على وجه الخصوص- أن أكتفي بمشاهدة أطفالي وهم يأكلون هُبَرهم بسعادة، أنظر إليهم بكل رحابة صدر -واخد لي بالك- بكل رحابة صدر وهم يقطعونها قطعًا صغيرة ويلتهمونها، وابتسامة التشفِّي على وجوههم، راضيًا بما منَّ الله عليَّ من حفنة أرز أو كبشة مكرونة مع بعض الحساء الساخن، حامدًا ربي عز وجل، وفرحًا بفرح ولديَّ .. لله درِّي!!

انسحبت مرة من لساني ونحن على مائدة الطعام قائلاً:

- هو مفيش لحمة ولا ايه؟!

- لم يتبق سوى قطعة صغيرة أعطيتها للأولاد؟!

فأقول والابتسامة لا تفارق شفتي:

- طب وأنا .. قصدي وإحنا؟!

- هم يحتاجون الغذاء، جسمهم لا يزال في مرحلة النمو والبناء..

- طب مانا محتاج للغذا أنا كمان، فيه أجزاء كتيرة في جسمي لسه في مرحلة النمو ومحتاجة بروتين عشان البناء ..

تنظر إلى جسدي المترهل من فوقه إلى تحته، وتتفحص كرشي المتين باستهجان، وتتفرس اللظاليظ والوظاويظ الملقاة هنا وهناك، ثم تبتلع بعض الأرز بعد أن غُصَّت به وتقول:

- بناء إيه؟! هو إحنا حنبني أهرامات ولا مسلاَّت فرعونية؟! كُلْ، المكرونة حتبرد؟!

أنظر إليهم جميعًا في سعادة بالغة -واخد بالك- وأردد:

- حسبي الله ونعم الوكيل..

**** هذا الحوار يتكرر كل طبخة، ولا حياة لمن تنادي.**

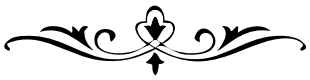

مائدة التوتر

في وسط هدوء المائدة، وأنا أستمتع بسيمفونية طرق الملاعق في الأطباق وتحريك الطعام في الفم، وجرجرة الحساء الساخن في المعدة الباردة، صرخت (هي) فجأة:

- أنت تصيبني بالتوتر .. يجب أن نضع حدًّا لذلك ..

صدمتني؛ فأنا شخص بطبيعتي هادئ الطباع، قليل الكلام، كثير التأمل، نِسمة -كما يقولون-، ريشة -رغم حجمي الضخم.

- أنا أصيبك بالتوتر يا مفترية؟! إزاي؟!

- إنت مابتشوفش نفسك بتاكل إزاي؟!

- وإيه دخل الأكل في التوتر؟!

- أنت تتنقَّل بين الأطباق بسرعة الصاروخ، تطوف على المائدة كلها في جزء من الثانية، تتتابع اللُّقم والملاعق على فمك تتابع

رصاصات الكلاشينكوف في جسد لا يقاوم، أشعر أننا في سباق العدْو ١٠٠ متر رجال في أولمبياد بكين ٢٠٠٨، سرعة حركة يديك على المائدة تذكرني باليسرى المستقيمة لمحمد علي كلاي في مباراته أمام سوني ليستون في الستينيات، أنت تتحرك بينما تتلاحق أنفاسي أنا وأصاب بالدوار وكرشة النفس.. أنا تعبت ..

مذهولاً أتمتم:

- هي أشياء لا تُشترى ..

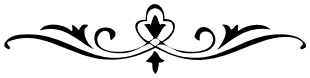

فاصل جادٌّ جدًّا

الْـبِـكْـرْ

أجمل ما في الحور العين أنهن أبكار على الدوام، والبكارة حالة نفسانية قبل أن تكون أي شيء آخر، فالبكارة النفسية احتفاظ على مدى الزمن -وفي الجنة لا زمن- بهذه الحالة المتفردة، فهي (بنوتة) مرحة، لا تتسربل أبدًا -مع رجلها- بغطاء الثيِّب الغليظ الذي كثيرًا ما يفيض حكمة مصطنعة -أو حقيقية- وعقلاً ورزانة موهومة -أو حقيقية أيضًا-، والذي كثيرًا ما يتعدى ذلك إلى التسلط والتبكيت وثِقَلِ الظل، فهي تتمتع بخفة ظل لا نظير لها، وحياء زائد ربما تفتقد الثيب جزءًا منه، وخفة ظل نسيتها الثيب في غمرة المسؤولية وأعباء البيت ووصايا الغرباء باقتناص الحقوق - زعموا.

لحظات التعارف الأولى بين البكر ورجلها لحظات لا تكاد توصف، لحظات القلب الخليّ، والعقل الفتيّ، لحظات اللمسة الأولى، والنظرة الأولى، والهمسة الأولى، لحظات البسمة غير المتكلفة، والنظرات الزاخرة بالمحبة، ومشاعر الاشتياق الملتهبة..

البكر خليَّة البال إلا من حبيبها، البكر تقضي زمانها مستقصيةً الطرق التي تتقرب بها إلى رجلها، البكر -لصغر سنها وحداثة أسنانها وندرة تجاربها مع الرجال- تميل إلى اللعب والضحك والسمر والحُداء وبث الأشواق وارتشاف رحيق المحبة والعشق.

البكر تشدو وتغرِّد لحبيبها وتزيل ما أهمَّه وأغمَّه، البكر كنسمات الفجر الرقيقة الباردة، تلطِّف الأجواء، وتزيل الوحشة، وتؤنس الرفيق.

البكر تشدو وتغرِّد لحبيبها، وترفِّه عنه، وتزيل ما أهمَّه وأغمَّه، يجول لسانها بين أزقَّة الشعر المرهف، والنثر الرائق، حتى يقع على بغيته من أهازيج الهوى، ورفيف أغاني الخُلَّة، فيتراقص في فمها

مداعبًا ثناياها البيضاء، ولثتها الوردية الشفيفة، فينتشر هذا الصوت البديع في الأرجاء، فتتراقص لرقصه نياط القلب وأحبال الحنجرة الحائرة .. البكر كنسمات الفجر الرقيقة الباردة، تلطِّف الأجواء، وتزيل الوحشة، وتؤنس الرفيق.. في البكر لهفة على رجلها لاستكشاف بواطن حالةٍ لم تعشها، فمجرد شعورها بالرغبة في استكشاف ذلك المجهول يمتعك ويرضيك غاية الرضا.

البكر لم تعتد رؤية وليفها؛ لذا تجدها دائمة التفرس في طلعته البهية، وتفاصيل طَلَّتِه السنية، فترتاح نفسه لهذا التفرس أيما راحة.

عقل البكر لم يتلوث بمخططات السيطرة على رجلها، ومؤامرات قتل روح الفكاهة، ونظريات الحموات الفاتنات، فالبكر على سجيتها؛ بل أرقى من سجيتها، تترفع عن لحظات التبكيت في أوقات اللقاء المحدودة، تستدعي البسمة -على بعدها- لتملأ فراغ دقائق حبيبها المعدودة.

تزوج الصاحب جابر بن عبد الله وكان شابًّا صغيرًا، فأول ما تبادر إلى ذهن صاحبه الملهم الأعظم صلى الله عليه وسلم أن سأله: «أَبِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا؟»، فقال: بَلْ ثَيِّبًا، فقال: «فهَلَّا بِكْرًا تُلاَعِبهَا وَتُلاَعِبُكَ». تلاعبها وتلاعبك، تمازحها وتمازحك، تضاحكها وتضاحكك، تمرحان معًا، وتسرحانِ معًا، وتطوفان بين سحائب الخيال معًا، تلتقطان معًا نسائم الحب، وترتشفان معًا رحيق الحياة، وتزوران معًا أكشاك النغم والألحان.

البكر أشد خجلاً وحياءً؛ فكأنها تُسقاهما مع كل نسمة هواء، تتنفس الحياء بين النَّفَسَيْن، تتدهن بغسوله، فتتشربه بشرتها بشراهة، حتى يظهر أثره على محياها فلا تكاد تخطئه عيناك، ولا تلتفت لغيره أذناك، ولا يستجيب لغيره ضميرك الرابض في عمق عمقك..

البكر ضحوك بسوم، لا تتكلف الابتسام؛ لأنه سجية في خلقتها، فكأنَّ ثغرها مشقوق على هيئة البشاشة، بشاشة مرئية

ومسموعة ومحسوسة، تراها مغمضًا، وتسمعها أصمًّا، وتحسُّها رغم البُعد ونأي المكان .. تقتحم الروحُ الباسمة عليك يومك، فلا تدعك تحظى بلحظة حزن أو ساعة اكتئاب، فكرم ابتسامها يحركها نحوك، فيمنحك من فيض بسماته بسمة أو اثنتين، أو يظل بك حتى تدبدب على الأرض من فرط القهقهة.

فعقل البكر بكر، وقلب البكر بكر، ولسان البكر بكر، ونظرة البكر بكر، وسمع البكر بكر، وبسمة البكر بكر، وانتظار البكر بكر، وحب البكر بكر، ولهفة البكر بكر، وشوق البكر بكر، ودمعة البكر بكر.. فهلاَّ بكرًا تلاعبها وتلاعبك، وتداعبها وتداعبك، وتمازحها وتمازحك، وتناجيها وتناجيك، وتغنِّيها وتغنِّيك..

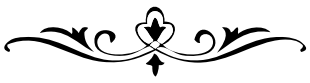

سوق على مهلك سوق

- على مهلك وإنت سايق عشان ما تجوعش..

هكذا فاجأتني ونحن منطلقان لشراء بعض الأغراض المنزلية..

- إزاي يعني؟!

- القيادة المتهورة تنتج عنها اهتزازات عنيفة، وهي التي تحرِّك بدورها الإنزيمات الهضمية، الأمر الذي يسرِّع من عملية الهضم، فتجوع وتطلب تتعشى..

أنا: !!!!!

وجع الغربة

واتصلت بي مرة في الغربة، تبدو من نبرة صوتها ملامح الفرح والسرور:

- من يوم ما سافرت واحنا مابنصرفش فلوس على الأكل..

- اقفلي السكة يا حبيبتي.

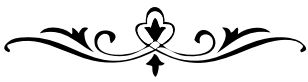

البـتـاعـة

- فين البتاعة اللي كانت هنا يا سمية؟!

- حطيتها على البتاعة اللي جوة يا ماما ..

- ماشي خلاص ..

وأنا أراقب ما يحدث باندهاش ..

- إيه اللغة دي؟!

المصيبة إنهم فاهمين بعض!!

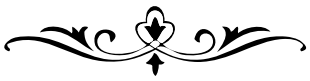

فاصـــل جـــاد جـــدًّا

الخطاب المعوي

وكتب إليها مرة:

عزيزتي: الطعام الساخن ينشر في الحياة الزوجية دفئًا وحرارة، ويقرِّب ما بين المتخاصمين، كما تقترب بَطَاطِسُهُ وكوسته، أو بازِلاَّؤه الخضراء المتراكبة، أو قطعة لحمه التي تتعانق مع صدر الدجاجة المحمرة الضاحكة، أو برام أرزِهِ الراقصِ حبورًا لتربعه على المائدة المستديرة، أو تلك الملحمة الأسطورية الكبرى المسماة صينية المكرونة بالبشاميل، التي تقع خلال معركتها الملحمية حالات إغماء متتالية طربًا على وقع سيمفونياتها الرومانتيكية الخلابة..

أما المعلبات فإنها تصبغ الحياة بشحوب كشحوبها، وبرودة كصقيعها اللاسع، فتترك بين الزوجين طعمًا عابسًا كطعم التونة المفتتة، أو مكتئبًا كطعم قطع الدجاج نصف المقلية، أو ذلك المكفهر الناقع كالنقانق الفاقعة، أو متأففًا كطعم بلوبيف البيض الأحمر المستفز ..

عزيزاتي: أدفئن بيوتكنَّ بصوانيكنَّ الساخنة، أشعلن الأفران صباح مساء، صبِّحيه ببيتزا الجمبري وأمسيه بالكعك الملطخ بالبرتقال والشيكولاتة والفانيليا، وابتغي فيما بينهما الأواني الناضجات، واستعيني على ذلك بشيء من الحلوى من الفرن ذاتهِ..

دغدغي مشاعره بكثير من البهارات على اللحم المقدَّد، وانشري بأصابعك اللولبية فتات اللحم المفروم على وجه الكوسة الملتهبة، ولا تتعجلي، فالنضج رمانة ميزان الطبيخ..

عزيزاتي: ما بالكن بمنزل لا يُطفأ فرنُهُ!! ولا تخبو جذوة طبيخِهِ!! ولا يكف الرجل فيه عن تحريك فَكَّيْهِ قضمًا وطحنًا وهرسًا!! إذا صرخ في وجهكِ فألقميه لحمًا، وإذا صاح في أطفاله فعاجليه بدبوس مشوي على فحمة مزنهرة.. وإذا رفض خروجكِ إلى أهلكِ فازرعي له الأرضَ هريسًا وحلوى.. ودعيه ينعم بحاله وانعمي بحالكِ كما تشائين.

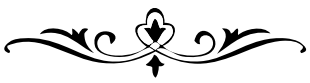

انـطـلاق

حدَّقتْ في عينيه العسليتين مليًّا، ثم قالت بصوت متهدِّج:

- أشتهي أن أمتطي معك صهوتي جوادين مسرعين وننطلق، لا يحدّنا مكان، ولا يصدّنا زمان، حتى نصل إلى بِركة ماء يكسو جوانبها عشب أخضر قصير، تزين أركانه مجموعة أزهار من البنفسج والتيوليب الناعمة، فنستلقي على ظهريْنا محدِّقين إلى السحب الإسفنجية الطرية ساعةً من نهار..

رد عليها بعينين حالمتين مغرورقتين بالدموع الساخنة:

- هاااااه .. بس يكون معانا سندوتشات كفتة وسلطة طحينة..

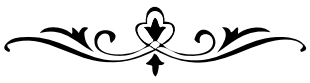

غسيل معدة

ووقعت بينهما مرة مشكلة، فأرسلت إليه رسالة على الواتس آب:

- قبل أن تنتقد زوجتك انتبه!!

فاليد التي تطبخ لك بها، هي نفسها اليد التي تنظف بها حمَّامك..

بالهنا والشفا..

القدس أسير

وكتبت إليه مرة:

- عزيزي روميو: لماذا لا تضاحكنا؟! لماذا دائمًا تتلفع بحاجبيك الكثيفين اللذين يحجبان عنا نور وجهك الساطع؟! نفتقد مرحك مع أصحابك، وصوت قهقهاتك المُدوِّي في أنديتهم!!

فكتب إليها:

- عزيزتي جولييت الحزينة: كيف أضحك والقدس أسير!

- هو أسير في البيت ومش أسير مع أصحابك؟! حبيبي: تبًّا لك..

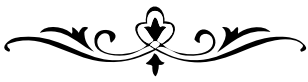

عـمـلـيـة إنـقـاذ

أخيرًا وبعد طول انتظار وملامة وعتاب فعلتْ ما يتمناه كل زوج من زوجته، جلسنا جميعًا في الصالة نتضور جوعًا ونتلوَّى من الألم، يكاد السائر في الشارع الرئيس يسمع صوت معدتي المسكينة تصرخ:

- هو إحنا كفار؟! جعاااااااااانة يا جدعان.

فشلت جميع محاولاتي لإسكاتها وتصبيرها بالفاكهة وفتات الخبز اليابس، تحوَّل الجميع إلى كائنات زومبي لا تفكر سوى في التهام أي شيء أمامها، حتى وصل بي الأمر إلى تخيُّل أشياء غريبة؛ فأرجل الكراسي الخشبية كانت تتراقص أمامي وكأنها أفخاذ دجاج مشوي على الفحم، يتصاعد منها دخان الشواء، لا أكاد أتقدم إليها لألتقطها حتى أنتبه من غفوتي على صوت عواء أمعائي..

وفي خضم ذلك كله، رأيتها قادمة من بعيد، بعيد جدًّا، من المطبخ القابع في آآآآآآخر الطرقة، وفي يدها اليمنى شوكة لامعة، تتربع فوق أسنَّتها ثلاث قطع من المكرونة بالبشاميل، تتحرك إليَّ

مهرولة بالتصوير البطيء، تتقدمها يدها الممدودة والممسكة بقوة بالشوكة والمكرونة، تنطق بكلمات تبدو أنها كلمات نداء، يتحرك فمها ببطء تمامًا كأفلام الأكشن، لا أسمع من عباراتها شيئًا، إلا أنني فهمت أنها تسرع نحوي لتنقذني من الموت المحقق الذي حل بي بسبب الجوع، تريد إنقاذ ما يمكن إنقاذه، تقترب وتقترب، فأشعر بأني أقترب أنا الآخر من النجاة، قمت إليها لنلتقي في وسط الطريق، أسرع إليها بخطا متقاربة، لكننا لا نزال نتحرك بالبطيء، وأرى جميع تعبيرات وجهها التي امتزجت فيها الشفقة بالخوف والأمل، ها قد أوشكت على الوصول إليها، قفزتُ قفزة واسعة لأختصر المسافة، فإذا بي أقع بين أحضانها، وقعنا على الأرض، تلقفتني بذراعها الأيسر وأجلستني نصف جلسة وأنا على شفا الاحتضار، ناولتني الشوكة بحنوٍّ وعطف هامسة في أذني بصوتها الحنون:

- محمد، أكَّلْ أنس بسرعة، الولد حيموت من الجوع..

- فهمتك غلط يا حبيبتي.. أنا آسف.

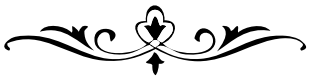

ديواني الكئيب

من التعليقات الجميلة اللي وصلتني على ديواني الأول (الظل الضائع) تعليق إحدى صديقات زوجتي؛ قالت لها:

- الديوان جميل جدًّا لكنه كئيب جدًّا جدًّا.. إنتِ عملتي إيه في الراجل؟!

صعبت عليَّ نفسي ونزلت دمعتي.

وجـهـي الـسـمـح

لم أكن أعلم أن وجهي ملهِم ومحفز لزوجتي على الإنجاز وفعل الخير بهذه الصورة؛ كنت كلما طلبت منها شيئًا -وطلباتي قليلة جدًّا بالمناسبة- تتقافز الواجبات المتأخرة أمام ناظريها؛ فتتذكر صلاة العصر، ونشر الغسيل، وتعليق الستائر، وتغيير حفاضة الصغير..

وحينما لفت ذلك نظري حاورتها بهدوء:

- حبيبتي، هي المهام دي مبتظهرش ليه غير لما أطلب منك حاجة؟! مش بتفتكري صلاة الظهر والعصر. والتراويح والتسابيح وقضاء الحاجة والاستخارة والسنن الرواتب غير لما أناديكي ليه؟!

اعتدلت في جلستها وتربعت، وارتدت خمارها .. أغمضت عينيها هُنيهة وتأملت في صمت، وكأنها تتقمص شخصية ما، ثم تناولت كتابًا من المكتبة ووقفت على حافة السرير وبدأت في الاسترسال والخطابة حتى قالت:

- عباد الله: إن من الناس مفاتيح للخير، وجوههم كالأقمار المنيرة، والبدور المستديرة، إذا رأيتهم ذكّروك بالله.

قفزتْ من فوق السرير لتقف أمامي مباشرة، ثم نظرت إليَّ بعينين مسهوكتين، وربتت بكفها على كتفي، وهمست في أذني بتصنُّع:

- أنت من هؤلاااااااااء يا أخ محمد ..

ثم قامت، وتوجهت إلى القبلة، ورفعت كفيها بمحاذاة أذنيها وصاحت:

- الله أكبر..

وفمي مشرَعٌ على مصراعيه..

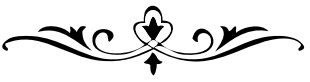

فرشة أسنان بالبطارية

كنت أتسوق بصحبة ابنتي سمية، فنادتني فجأة:

– بابا، عاوزة فرشاة أسنان بالبطارية، جميلة ومرسوم عليها زرافة..

– بكام دي يا سمية؟!

– بـ٣٥ بس، الوردية ليَّ والخضرا لإبراهيم..

– ليه يا حبيبتي بـ٣٥؟

– بص، إنت بتحط الفرشاة على أسنانك، وتضغط على الزر وهي تتحرك لوحدها فوق وتحت، ويمين وشمال وتغسل الأسنان..

– أها، انتي فمهتي غلط يا حبيبتي، دي بتاعة المشلولين اللي مبيعرفوش يحركوا الفرشاة فوق وتحت ويمين وشمال، مش لينا..

– آاااااااااه.. طيب خلاص..

وانصرفنا في سلام..

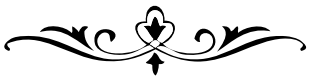

قمر الدين

- حبيبتي، ناوليني كوبًا من عصير قمر الدين..

ردَّت بصوت متهدِّج:

- كيف تفكر في قمر غيري؟!

أجاب بمحنٍ ونبرة خفيضة:

- حبيبتي، هو قمر الدين، لكنك قمر الدنيا..

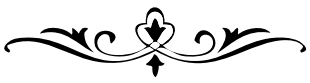

إن شاء الله وألف مبروك

جلسا معًا في ضوء شمعة حمراء وحيدة، أمسك يدها بيمناه، وبيسراه كان يداعب خصلة شعر تدلَّت عن جبهتها العريضة، قال بصوت متهدِّج:

- عارفة يا حبيبتي أنا اتجوزتك ليه؟!

- ليه يا حبيبي؟!

- فاكرة لما جيت أخطبك وكنا بنتكلم وسألتك عن تعامل الزوجة مع زوجها؟! إجابتك كانت نموذجية، استنبطت منها أد إيه إنتي مثالية.. أخذت القرار في ساعتها أنك البنت اللي بأدور عليها.

- إجابة إيه؟!

- لما قلتي لي: أيوة طبعًا.. إن شاء الله، وألف ألف مبروك!!

– آه افتكرت، بس إنت فهمت إيه من الإجابة دي؟! أنا كنت بأهزر..

– إيه؟!

ضحكة أنس

حينما كان أنس رضيعًا لم يكن يبتسم في اليقظة، لا يضحك لي ولا لأمه أو أخويه، فهو حتى هذه اللحظة -وفق كلام المتخصصين- لا يرى الصور بشكل واضح، ولا قدرة لديه على تحديد ملامح أي شيء، لكنه إذا نام ترتسم على وجهه كثيرًا ابتسامة هادئة آسرة؛ بل ربما قهقه أحيانًا بصوت مسموع..

- إنت مبتضحكليش ليه يابني إنت؟! أنا فاضل شوية وأتشقلبلك عشان أحرَّك محاسيسك .. اشمعنى بتضحك وإنت نايم؟!

- شوف يا بابا .. وأنا نائم أرى عجبًا؛ أرى رضَّاعات في كل مكان، تنساب منها قطرات الحليب الدافئة على وجهي، وأحيانًا أرى نفسي- صبيًا يتجول بقدمين عاريتين بين تلك الرضاعات

العملاقة، فأشفط وأشفط وأشفط، حتى أتضلَّع من الحليب، فتمتلئ بطني، وتقر عيني، فأنام وأنا في المنام، فإذا استيقظت رأيت وجهك ووجوه إخوتي، فأكفهرَّ، وأتمنى لو أنام من جديد، لأرى ما لا رأت عيني .. فبالله عليك أبتسم لك أم أبتسم في منامي!! روح يا عم الله يسهل لك ..

- نام ياض، أنا لو منك أفضل نايم ليل ونهار ..

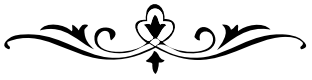

المهندس الرضيع

من عادة أنس أن يظل يبكي وهو على يدي مادمت جالسًا، فإذا وقفت -وقفت فقط وأنا في مكاني لم أتقدم للأمام خطوة، ولم أتقهقر للخلف خطوة- إذا فعلت ذلك سكت في الحال؛ بل ربما راح في النوم في اللحظة نفسها بلا أي مبالغة..

- كيف تدرك يا فتى أني وقفت؟!

- والدي العزيز: الحسبة سهلة وبسيطة، تراني طوال اليوم متأملاً في سقف الغرفة، فاكرني بالعب؟! أنا بادرس وأتكتك وأهندس؛ تمكنت بعد كثير من الحسابات من حساب المسافة بيني وأنا على ذراعك وبين السقف، فأي تغير سلبي في هذه المسافة يعني أنك تحولت من وضع الجلوس إلى وضع القيام، وهذا يريح

نفسي، ويطمئن قلبي، ويسكن جوارحي.. والأهم أنه يؤلم ذراعك، وهذا مطلب ضروري..

بانفعال:

- شكرًا.. روَّح لأمك.

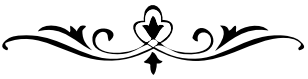

الْـوَحْـش

ناديت إبراهيم منذ قليل وسألته:

- إنت شايفني شرير يا هيما؟! ماما بتقول عليا شرير..

فقال:

- إنت بتهزر يا بابا!! إنت وَحْش..

صدمني ابن الذين..

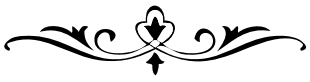

صُلْح الجوس ٢٠١٧

- بابا.. هاتلي عصير طبيعي حجم كبير..
- أيوة وأنا كمان يا بابا، هاتلي فراولة وهات لإبراهيم مانجا..
- هويهو نشي فتشي فِشي فِشْ بابا.. (هذا أنس الرضيع)..

قضية العصير الطبيعي من أعقد القضايا المعاصرة والأزمات المفصلية، التي يمكن أن تمر بها أسرتنا الكريمة في عصرنا ما بعد الحداثة؛ ذلك أن الأطفال يطالبون به في كل مرة نخرج فيها من باب المنزل، علمًا بأن ثمن الكوب الصغير منه يساوي ستة أضعاف ثمن الزجاجة العادية، وهذا فوق طاقة احتمال البشر والحيوانات والكائنات الفضائية بمراحل، فكم في الراتب من زجاجة عصير طبيعي من هذا النوع!!

لذا عقدت معهم اتفاقية (صلح الجوس ٢٠١٧)، وتتضمن

الاتفاقية البنود التالية:

- العصير الطبيعي مرة واحدة أسبوعيًّا فقط، وغير مسموح بالطلب إلا في اليوم المتفق عليه في هذه الاتفاقية، ويمكن للطرف الثاني الاستمتاع طوال أيام الأسبوع بالعصير الصناعي عوضًا عنه، أو عمل عصير طبيعي بالمنزل.
- الحجم المسموح به هو الحجم الصغير فقط، أو مشاركة الحجم الوسط لكل فردين من أفراد الأسرة، أو واحدة من الحجم الكبير لكل أفراد العائلة، مع شراء ٥ ماصَّات والتناوب على الكوب حتى يصاب بتهتك في الأنسجة.
- طلب العصير يكون بعد تناول الغداء فقط، وغير مسموح بالطلب قبله، وإن توافق طرفا هذه الاتفاقية على شرائه قبله فأي شراء بعده يعد لاغيًا، ويعرض فاعله أو طَالِبُه للمساءلة القانونية.
- يتم تحديد مكان الشراء وفقًا لعرض سعر يتقدم به الطرف

الثاني (الأطفال) في هذه الاتفاقية بناءً على قائمة الأسعار المقدمة للطرف الأول، ويتم اختيار أقلها سعرًا وأكبرها حجمًا.

- أي إخلال بأحد بنود هذا العقد يعرض الطرف الثاني (الأطفال) لدفع ثمن عصير للأسرة بالكامل من مصروفه الخاص.

وعلى الرغم من كتابة هذا الصلح الجائر، إلا أن الطلب في كل خروجة لا يزال يتكرر وبنفس التفاصيل:

- بابا.. هاتلي عصير طبيعي حجم كبير..
- أيوة وأنا كمان يا بابا، هاتلي فراولة وهات لإبراهيم مانجا..
- هويهو نشي فتشي فِثي فِثْ بابا..

ويقتصر دوري حينها على الرفض وتكرار كلمة (لا)، مؤكدًا على احترام الاتفاقيات المبرمة قبل الثورة، متأسيًا في ذلك بعم (عباس الضو) أشهر رافض في التاريخ..

وكأنَّ ثورةً لم تقم..

حـيـوان

أحلى الأوقات هي أوقات المذاكرة، التي تتجلى فيها أمارات ذكاء الجميع وعلامات غباء العبد لله .. هذا ما اكتشفته مؤخرًا، فالجميع يفهم ومطَّلع وذكي، وأنا المتخلف الوحيد عن الركب الحضاري بسنين ضوئية:

- يا سمية، اذكري اسم حيوان يبدأ بحرف الراء..

- امممم، رَجُل..

- رجل إيه يا حبيبتي؟! باقول لك حيوان، حيواااان!!

- أيوة رَجُل..

- قومي نامي يا سمية انتي تعبتي وبدأتي تخرفي وحتتعبيني معاكي.. روحي.

- يا بابا افهمني، عارف أرسطو؟!

- إنتِ وصلتي لأرسطو؟! أهلاً وسهلاً .. طفلة إيه دي اللي

عارفة أرسطو!! ماله سي الأستاذ أرسطو..

- اهدا بس يا بابا.. الأستاذة قالت لنا في المدرسة إن أرسطو بيقول إن الإنسان حيوان مدني واجتماعي بطبعه.. يعني بيحب يعيش وسط الناس، ويخرج ويتفسح ويلعب في الملاهي، ويتعشى في المطعم، ويشتري غزل البنات وعصير طبيعي، وهذا في حد ذاته تدليل على أن الإنسان بشكل عام داخل ضمن الفصيلة الحيوانية، وبما أن الرجل من جنس الإنسان، والإنسان حيوان، إذن فالرجل حيوان، وهذا هو المطلوب إثباته..

لم أنتبه إلى نفسي- إلا وأنا محدِّق في عينيها الجادتين في ذهول، ومردد:

- آه يا بنت الرَّجُل..

ماما الإسرائيلية

اليوم لم أعد إسرائيليًّا فيما يبدو، لقد تحررت، استعدت البقية الباقية من كرامتي المهدرة، لقد وقف الأولاد في صفي لأول مرة في التاريخ، يا لهوي ع السعادة يا جدعان!!

جلسنا على مائدة الطعام، وغالبية أحداثنا تقع بين الطبيخ والتغميس واللغوصة، لا أدري ما الذي فتح الحديث، لكنَّ كلمةً من وسط الكلام فجعتني، جعلتني أقفز من مكاني دهشة في بادئ الأمر، وسعادةً في منتصفه، وطيرانًا من الفرح في نهايته، قال إبراهيم:

- بس ماما أطخن من بابا بكتيييير..

أحقًّا ما أسمع؟! كرِّر يا حبيبي هذا المواال مرة أخرى، شنّف آذاني؟! أنت حقيقي؟!

وهنا تدخلت سمية ببقية اللحن الرشيق الجذاب الجميل الحنون

المطرب:

- أيوة جدًّا طبعًا..

حبيبة جلبي، اطربيني، كملي أرجوكِ لا تتوقفي، قولوا يا حبايبي قولوا..

وهنا انتفخت أوداج الأم صارخة بعد أن تلقت قذيفتيْ بازوكا في قلبها بضربتين مباشرتين، أكاد أسمع لحنَ موسيقى الفك المفترس تتردد في الخلفية:

- انتوا بتقولوا إيه؟! مين اللي أطخن من بابا؟! أنا؟!

قال الاثنان في نَفَسٍ واحد وبثقةٍ لا نظير لها:

- أيوة طبعًا..

وأنا أتمايل على وقع هذه السيمفونية المبهجة، والدموع تنهمر ساخنةً من عينيَّ اللتين لم تُقرّا من قبل بمثل هذا المشهد الرائع..

- إزاي يا حبايبي؟! إنتو مش شايفين بابا ضخم جدًّا إزاي وأنا لا؟!

وهنا تتدخل العناية الإلهية ملقيةً على لسان سمية -التي طالما روَّجت للإشاعات والافتراءات عليَّ وعلى سمعتي كأب مقهور داخل هذه الأسرة الظالمة-، بدأت سمية عملية الإفتاء التي قهرتني بها طوال السنوات السابقة قائلة:

- لا يا ماما.. اللي عند بابا دي مجرد دهون، لكن اللي عندك في بطنك ده أكل..

وهنا تقمصت دور المذيع الكروي لأصرخ: يا سلاااااام، واحد صفر، واحد صفر، هداااااااااااااااااف، الله أكبر، الله أكبر عليكي يا سمية، صح؛ اللي عندي ده دهون لكن اللي عندها أكل، طبعًا طبعًا، هي دي عايزة فكاكة، الله عليكي، شغَّلي الفتاوى كمان وكمان.. خُشِّي. يا بنتي خُشِّي..

- يا بنتي ده أنا وزني كل الحكاية ((كذا))، وبابا وزنه ١٣٠ كيلو، يبقى مين أطخن يا فالحة؟!

وهنا تحرَّك الضمير الإبراهيمي الميت، استيقظ من سباته ليقول

كلمة الحق -من وجهة نظري-، نطق إبراهيم بالكلمة التي انتظرتها:

- أتحدى، أتحدى يكون وزنك كده، يوم أنا ما كنت عيان وروحت أكشف إنتي وزنتي وكان وزنك أكتر من ١٠٠ كيلو..

أوباااااااااااااااا جبهة، جبهة، جبهة، قصف جبهة منقطع النظير، لقد طارت الجبهة يا بني والله، الله أكبر عليك، الله أكبر عليك..

إنها تعاني الآن، إنها تترنح، اللَّكْمة الإبراهيمية أفقدتها التوازن تمامًا.. العصافير ترفرف الآن فوق رأسها المترنح..

- يا عيال افهموا؛ ١٠٠ كيلو إيه بس؟! مش ساعات بتلاقوني بألبس هدوم بابا وبتبقى واسعة عليَّ جدًّا؟!

وهنا تتدخل سمية بالضربة القاضية، إنها اليسرى المستقيمة تسددها سمية بلا رحمة، بلا رحمة:

- أيوة عادي؛ هدوم بابا كبيرة عشان هو أكبر منك في السن..

بـــــووووووووووووووم، بـــــووووووووووووووم، بووووووووووووووم.. صح، صح، تاهت عنا فين دي؟! تاهت

عنا فين؟! طبعًا هدومي كبيرة لأني أكبر في السن، مين يقول غير كده، لقد قهرتي المنطق يا سمية، أين أنت يا أرسطو؟! أين أنت يا أفلاطون؟! أين أنت يا سقراط؟! أين أنت يا سارتر؟! أين أنت يا تشومسكي؟! أين علماء الفلسفة ليتعلموا المنطق السُّمَيَّاتي الرهيب؟!

اليوم أعلن انتصاري، لقد فزت يا قوم، لقد فزت، لقد فووووووووووووووووزت..

اليوم أعلن انتهاء عهد #بابا_الإسرائيلي، وبزوغ فجر جديد تعاني فيه #ماما_الإسرائيلية من قهر العيال وتسلط الغرماء وانقلاب السحر على الساحر.

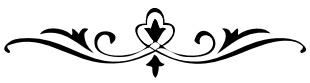

سجل انطباعك وانطباعات أسرتك

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

راسلني على:

facebook.com/reeshamahbara

الـــفـــهـــرس

- إهداء ٥
- مفتاح الكتاب ٦
- الخديعة الكبرى ١٤
- طلبات البيت ١٩
- بابا الشيطان ٢٣
- الظالمة الصغيرة ٢٦
- شكرًا يا ماما على تضحية بابا ٢٩
- مغمض الأذنين ٣٢
- فـــاصـــل جـــاد جـــدًا ٣٥
- راقصة الباليه ٣٦
- الساحرة الشريرة ٣٨
- يا بيبي ٤٠
- الصنم الأكبر ٤١
- (منديل) وغسالة الأطباق ٤٢
- مفتي الجمهورية ٤٦

- توافق ٤٨
- كوني موني ٤٩
- بابا حامل ٥٠
- فاصل جاد جدًا..... ٥٤
- الملحمة الكرشية ٥٥
- تسبيح على أناملها ٥٦
- فيمتوثانية ٥٧
- المخ الذري ٦٠
- فاصل جاد جدًا ٦٣
- عمى ألوان ٦٤
- اليوم العالمي للمرأة ٦٦
- قميصي الحزين ٦٩
- الأم ثم الأم ٧٠
- ثقافية السندونشات ٧٢
- الدجاجة الحائرة ٧٤
- فاصل جاد جدًا ٧٦
- حصن المسلم ٧٧

- باليه بحيرة البجع ٧٨
- ملوخية بالكوسة ٨٢
- حوار عبثي ٨٤
- دبدوب العاشقين ٨٧
- صينية البطاطس ٨٨
- السؤال العجيب ٩٠
- أشغال شاقة مؤبدة ٩٤
- الجملة المحظورة ٩٦
- ولما نلاقينا على سفح رامة ٩٨
- آكل لحوم البشر ١٠٢
- عشقي الأول ١٠٤
- يا راجل يا عجوز ١٠٦
- حفل الاستقبال ١٠٧
- جحيم الفلسفة ١١٠
- طبخة اليوم الثاني ١١٣
- مائدة الثوار ١١٥
- فـــاصـــل جـــاد جـــدًا ١١٧

- البكر ١١٨
- سوق على مهلك سوق ١٢٣
- وجع الغربة ١٢٤
- البناعة ١٢٥
- فاصل جاد جدًا ١٢٦
- الخطاب المعوي ١٢٧
- انطلاق ١٢٩
- غسيل معدة ١٣٠
- الفرس أسير ١٣١
- عملية إنقاذ ١٣٢
- ديواني الكئيب ١٣٤
- وجهي السمح ١٣٥
- فرشة أسنان بالبطارية ١٣٧
- قمر الدين ١٣٨
- إن شاء الله وألف مبروك ١٣٩
- ضحكة أنس ١٤١
- المهندس الرضيع ١٤٣

- الوحش ١٤٥
- صُلح الجوس ٢٠١٧ ..... ١٤٦
- حيوان ١٤٩
- ماما الإسرائيلية ١٥١
الفهرس ١٥٧